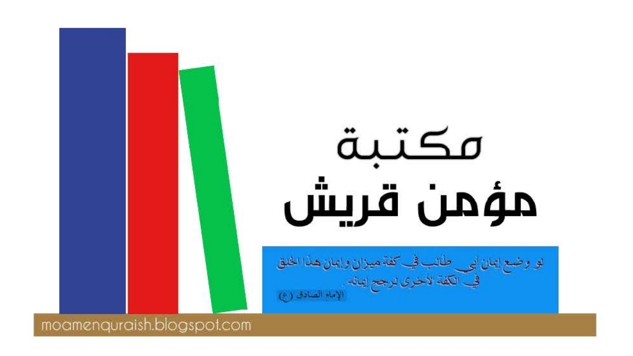
صلاة العارف

الصلاة في فكر الإمام الخميني (قده)

إعداد
الشيخ فادي ناصر

دار الولاء
بيروت - لبنان



صلاة العارف

الصلاة في فكر الإمام الخميني (قده)



لبـنان - بيـروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

ISBN:978-614-420-015-5

اسم الكتاب:	صلاة العارف-الصلاة في فكر الإمام الخميني(قده)
إعـــداد:	فادي ناصر
الـنـاشـر:	دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعـــة:	الثانية - بيروت ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

صلاة العارف

الصلاة في فكر الإمام الخميني (قده)

فادي ناصر

دار الولاء

بيروت ـ لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

إن الكمال المطلق الذي

هو الوصول الى فناء الله

والإتصال بالبحر اللامتناهي للواجب،

وشهود جمال الأزل،

والاستغراق في بحر النور المطلق،

يتحقق في الصلاة.. [1]

المحتويات

مقدمة لا بد منها

إعلم أن للصلاة معنىً غير هذه الصورة، وباطناً غير هذا الظاهر، ومثلما أن لهذا الظاهر آداباً يؤدي الإخلال بها إلى بطلان الصلاة الصورية أو نقصانها، فإن لباطنها أيضاً آداباً قلبية يؤدي الإخلال بها إلى بطلان الصلاة المعنوية أو نقصانها، تماماً كما أن مراعاتها تجعل للصلاة روحاً ملكوتية (1).

بهذه الكلمات لسيد عرفاء هذا العصر، الإمام الخميني العظيم (س) نفتتح الكلام لنشير إلى مضمون وأهداف هذا الكتاب.

يولي الإسلام إهتماماً كبيراً بالجهاد، بل قد لا نجد أمراً أهم منه على الإطلاق، فهو سياحة الأمة كما قال رسول الله (ص):

«لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»

والأمر الإلهي جاء حازماً وصارماً بضرورة مجاهدة الكفار

وإرغامهم على الخضوع للدعوة الإلهية فخاطب الله تعالى نبيه قائلاً:

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[2]

هذه الدعوة للجهاد ليست للتسلط والسيطرة والظلم والإستبداد، بل هي لأجل إزالة الموانع والعراقيل التي تقف سداً منيعاً أمام هداية البشر ووصولهم إلى كمالهم الإنساني اللائق بهم.

وكان الجهاد نوعين، الأول ظاهري وهو مقارعة الظالمين والطواغيت الذين يعملون على نشر الفساد والرذيلة لتكون لهم العزة في الأرض والسلطة، والهدف منه تحرير الناس من رق العبودية لهؤلاء الظالمين وجعلهم عبيداً لله الواحد القهار دون غيره، فيسود العدل والمساواة في المجتمع.

أما النوع الثاني من الجهاد فهو الجهاد الباطني، أو ما يعبر عنه بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس لإرغامها على عدم مخالفة أمر الله والدخول في الصالحين. فالعدو في هذه المعركة هو نفس الإنسان الأمارة بالسوء، التي تجرّه بدافع من الأنا وحب الذات إلى مخالفة أوامر المولى وإرتكاب شتى أنواع الذنوب والمعاصي. ولذا كان الإنسان مكلفاً بتهذيب نفسه لإخراجها من ربق العبودية للأهواء والأنا والشهوات. وقد حذر رسول الله (ص) فقال: «**إن أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك**». وفي معركة الباطن هذه تأتي الصلاة كسلاح مهم جداً يستعمله هذا السالك المجاهد لكي يتقوى بها على هذا العدو اللئيم، بشرط أن يراعي هذا السالك آداب الصلاة وشروطها الظاهرية والباطنية. أما إذا اكتفى ببعد دون الآخر فلن يكتب له الفوز، بل سيزداد ضلالة وبعداً.

لذا يقول الإمام الخميني (قده): «إن الصلاة هي مصنع لتهذيب النفس»[3] ولكي يعطي هذا المصنع ثماره الطيبة على الإنسان المجاهد أن يتعرف على آداب هذه العبادة الظاهرية والباطنية ثم يعمل على تطبيقها على نفسه. وهذا الكتاب هو محاولة لتسليط الضوء على العبادة بشكل عام والصلاة بشكل خاص، لمعرفة أهميتها والتعرف على آدابها وأسرارها الباطنية والتحذير الشديد من الإستهانة بها أو الغفلة عنها.

وهو عبارة عن كلماتٍ للإمام الخميني (قده) ذكرها في كتبه وخطبه حول هذه الفريضة العبادية، والتي تم التركيز فيها على الجوانب الباطنية والمعنوية التي أشار إليها الإمام. لذا قد يجد القارىء أثناء القراءة مجموعة من المصطلحات الجديدة التي لم يسمع بها من قبل وهي من دأب الحديث عن عالم المعنويات في الإسلام التي نغفل عن معظمها، لذا ننصح القارئ الكريم بعدم الوقوف كثيراً عند هذه المصطلحات، وليكن همه فهم المطلب وروحه، ولا يمنع من الرجوع إلى أصحاب الباع والإختصاص لفهم هذه المصطلحات ومعرفتها. ولكن نؤكد على أن فهم كلام الإمام ومضمونه لا يتوقف على فهم هذه المصطلحات إلا في بعض الموارد المحددة.

وما ينبغي أن نشير إليه ويحذر منه إمامنا الخميني (س) أشد التحذير هو أن لا يستخف أحدنا بعظمة هذه المفاهيم وعمقها وأن لا يضربها عرض الحائط، إما لأنها لا تناسب ذوقه أو لعدم فهمها واستصعاب مضمونها.

فإن الإنكار لهذه الحقائق المعنوية العالية والمعارف العرفانية

الشامخة يقف سد ضلالة وجهالة منيع ليحول دون العروج بهذا البراق الملكوتي نحو الحضرة الإلهية المقدسة، وليحرم هذا المنكر من تلك النعم الغيبية والأسرار الملكوتية فيكون من المخلدين إلى الأرض، وأتباع الدنيا. لذا يحذر الإمام الخميني (س) من إنكار هذه المقامات والمراتب المعنوية للعبادات وينصح ابنه بأن لا ينكرها أبداً وإن لم يكن من أهلها أو لم يقتنع بها بعد فيقول:

«بني إن لم تكن من أهل المقامات المعنوية، إسع أن لا تنكر المقامات الروحانية والعرفانية، لأن الإنكار من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء التي تصد الإنسان عن بلوغ جميع مراتب الإنسانية والمقامات الروحانية. وهو يدفع الإنسان إلى إنكار السلوك إلى الله والإستهزاء به أحياناً، مما يجر إلى الخصومة والمعاداة لهذا الأمر. وبهذا فإن ما جاء به جميع الأنبياء العظام (صلوات الله عليهم) والأولياء الكرام (سلام الله عليهم) والكتب السماوية خصوصاً القرآن الكريم. كتاب بناء الإنسان الخالد. سيموت قبل أن يولد»[4].

والأمر الآخر الذي ينبغي التحذير منه هو أن لا ييأس الإنسان الحريص والمجاهد من التحقق بهذه الكمالات المعنوية أو الوصول إلى هذه المقامات الروحانية لأن اليأس هو سهم من سهام إبليس يريد به أن يخرج هذه الزمرة من العباد. الذين إهتدوا إلى جادة الحق والصواب. من خلال اليأس من إمكانية الوصول لما يجدونه في أنفسهم من الضعف وقلة الزاد.

ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم أن مرد هذا اليأس هو سوء الظن بالله تعالى وهو القائل:

﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون﴾(5)

فاليائس جاهل برحمة الله الواسعة وقدرته المطلقة، بل ومنكر لهما في الباطن وإن كان لا يعلم. لذا عدّ من الكافرين برحمة الله التي وسعت كل شيء. لذا يقول إمامنا الخميني (س):

«وأهم ما ينبغي لنا إخراجه من قلوبنا هو اليأس من روح الله والقنوط من رحمته، فذلك من جنود إبليس والقاءات شياطين الإنس والجن»(6).

ويبقى آن نعرف أن سرّ الفلاح والفوز في ميدان الإمتحان والإختبار الدنيوي الذي نعيشه والذي سيحدد مصيرنا في العالم الآخر، عماده وقوامه التقوى، أي الطاعة والخضوع لأوامر الله وعدم مخالفتها مطلقاً.

فهذه التقوى الكاملة هي التي ستوصلنا إلى أعلى مراتب الكمال والمعرفة بالله تعالى والتحقق بالمقامات المعنوية السامية.

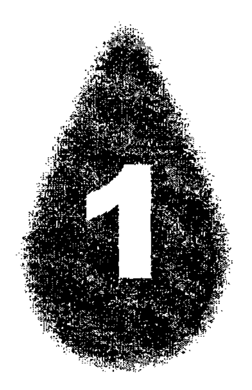
يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾(7).

والحمدلله رب العالمين

قم المقدسة

2001/6/25



أهمية العبادة والصلاة



الصلاة من التكاليف الإلهية

إن الله تعالى لم يترك الإنسان وفطرته، لعلمه تعالى بأنه سيحجب عن الفطرة المخمرة لإبتلائه بالقوى الحيوانية الشهوية والغضبية والقوّة الوهمية الشيطانية، وهذه القوى معه منذ فطره، لإحتياجه إليها في عيشه وبقائه شخصاً ونوعاً، وفي رقيّه وسيره وسلوكه إلى الله تعالى.

لكن الحنين الجبلي إليها حجبه عن فطرته ومنعه عن سيره، فبعث الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين تكون أحكامهم على طبق الفطرة لرفع الحجب عنها وإعانتها في سيره وسلوكه. فأحكامهم إما على مقتضى الفطرة الأصيلة ابتداءً أو مع الواسطة كالدعوة إلى الله ومعارفه واسمائه وصفاته، وإلى فضائل النفس وكمالاتها، وكالدعوة الى الصلاة التي هي معراج المؤمن إلى الله تعالى،

والحج الذي هو الوفود إليه تعالى.

أو على مقتضى الفطرة التابعة كالزجر عن الكفر والشرك وعبادة الأوثان والتوجه إلى غيره، وعن الأخلاق الذميمة والأفعال القبيحة، مما يمنع النفس عن الوصول إلى الله.

وبالجملة، جلّ أحكام الله تعالى مطابقة لمقتضى الفطرة أي مرتبطة برفع حجبها وإحياء مقتضاها. والمقصود الأصلي والمقصد الأسمى هو المعرفة والوصول إلى باب الله تعالى.

كل ذلك من عناياته تعالى بعباده، لتخليصهم من سجن الطبيعة وإرجاعهم إلى مأوى المقربين ومقرّ المخلصين.

«فالتكاليف ألطاف إلهية وأدوية ربانية لعلاج الأرواح المريضة والقلوب العليلة، والأنبياء (عليهم السلام) أطباء النفوس ومربّو الأرواح ومخرجوها من الظلمات إلى النور ومن النقص إلى الكمال»[8].

الصلاة هي حامية الأمة

إن سيد الشهداء (ع) حينما ذكر له أحد الأصحاب يوم عاشوراء؛ الذي كان يوم قتال عظيم والجميع فيه معرضون للخطر، أن وقت الظهر قد حان قال (ع): «**ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين**». ثم وقف يصلي في نفس المكان. لم يقل (ع) إننا نريد أن نتابع القتال. كلا، فالجهاد هو لأجل إقامة الصلاة.

وحينما طلبوا من أمير المؤمنين علي (ع) أمراً (وهو أن يؤجل الصلاة يوم صفين) وقف في ساحة الحرب وأجاب: «**الآن... أنا لأجل هذا أقاتل**».

الحرب في الإسلام ليست غاية ولا مطلوبة لنفسها، إن القتال في الإسلام هو لأجل رفع كل تلك القذارات والخبائث التي تحول دون إنتشار الإسلام وتقدم المسلمين. فالغاية هي أن يتقدم الإسلام، وأن يُصنع الإنسان على أساس الإسلام.

إن الصلاة هي مصنع لتهذيب الإنسان، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

الصلاة الصحيحة تبعد عن الأمة الفحشاء والمنكر. إن هؤلاء الذين كانوا يتحدثون في مراكز الفساد، والذين طردوا من البلاد، هؤلاء هم تاركون للصلاة.

إن المصلين هم في المساجد، ومستعدون لأجل الخدمة، لا تخلوا المساجد، إن هذا الأمر اليوم تكليف شرعي. فهذا اليوم هو يوم استثنائي، ونحن نمر في هذا العصر بمرحلة استثنائية. لقد

نهضنا بذكر الله، وعلى إسم الله، والصلاة أعلى مظاهر ذكر الله[9].

الصلاة عمود الدين

أيها العزيز: إياك ثم إياك والله معينك في أولاك وأخراك أن تتهاون في أمورك الدينية وخاصة الصلوات الخمس، وتبدي الفتور والإهمال تجاهها.

ويعلم الله بأن الأنبياء والأولياء وأئمة الهدى (عليهم السلام) قد دفعوا بالناس نحو الصلوات وحذروهم من التخلف عنها، نتيجة العطف والحنان منهم على العباد، إذ أنهم لا ينتفعون من إيماننا ولا تجديهم أعمالنا شيئاً.

إن من الأمور المهمة التي تتوفر في هذه الصلوات الخمس التي تعتبر عمود الدين، والقاعدة الصلبة للإيمان والتي لا يرقى إلى مستواها شيء في الأهمية بعد الإيمان، وبعد التوجهات النورية الباطنية، والصور الغيبية الملكوتية، حيث لا يعلم أحد عظمتها إلا الحق سبحانه والخواص من عباده. إن من الأمور المهمة التي توجد في الصلاة، هو تكرار تذكر الحق في حالات من الأدب الروحاني الإلهي الخاص، الذي يدفع بالإنسان إلى توثيق الأواصر بينه من جهة وبين الحق المتعال والعوالم الغيبية من جهة أخرى. ويبعث على ملكة الخضوع لله سبحانه في الفؤاد، ويقوي الشجرة الطيبة التي هي التوحيد والتفريد، ويجذرها في النفس على نحو

لا يمكن إقتلاعها. وبه يفلح الإنسان في الإختبار العظيم الذي يحصل له من قبل الحق المتعالي لدى سكرات الموت وأهوال المطّلع ومشاهدة شيء من عالم الغيب، ويوجب استقرار دينه وثباته، من دون أن يكون مستودعاً وقابلاً للزوال حتى يصاب بالنسيان، لدى أقل ضغط[10].

العبادة والعلم

لا بد وأن نعرف بأن العبادة لا تتحقق من دون علم، ومن هنا يكون للعابد نور خاص به، بل إن نفس الإيمان وعبادة الحق المتعال من سنخ النور ولكن نور العابد يضيء لنفسه، وينير تحت أقدامه، ولا ينير للآخرين. ولهذا يكون مثلهم كمثل النجوم ليلة البدر، حيث تختفي أنوارها أمام نور القمر ليلة البدر، وتضيء لنفسها من دون أن تنفع الآخرين وتسطع لهم. فمثل العابد أمام العالم، لا يكون مثل النجمة في الليل المظلم حتى ينير قدراً من المساحة المحيطة بالنجمة. وإنما يضيء بمثل إضاءة النجمة ليلة البدر حيث تكون ظاهرة وغير مظهرة لشيء آخر[11].

العبادة والعمل

قال الإمام الصادق (ع): **«ما فعل عُمر بن مسلم؟ قلت جعِلت فداك اقبل على العبادة وترك التجارة».**

فقال (ع): «**ويحه، أما علِم أن تارك الطلب لا يستجاب له دعوة؟**» إن قوماً من أصحاب رسول الله (ص) لما نزلت: «**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**»، أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبي (ص) فأرسل إليهم فقال (ص): «**ما حملكم على ما صنعتم؟**»

فقالوا: يا رسول الله تكفّل الله بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة!

فقال (ص): «**من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب**»[12].

لا بد من معرفة أن أمثال هذه الأحاديث الشريفة الظاهرة في أن الرزق مقسم ومقدر، كما هو مستفاد من الآيات القرآنية المباركة، لا تتنافى مع الأخبار التي تحث على طلب الرزق وتؤكد على الكسب والتجارة. والتي ترى كراهة شرعية في ترك العمل والإحجام عن تحصيل الرزق، وتلوم على التخلي عن الكسب، وتجعل التارك للإشتغال بالعمل التجاري ممن لا يستجاب دعاءه ولا يبعث الله رزقه. ووجه عدم المنافاة بين الأخبار هو أن طلب الرزق من الإنسان، وأما ما بعده من الأرزاق والأمور الأخرى التي تحف بالرزق ففي يد قدرة الحق المتعال. ولا يكفي طلبنا لوحده مستقلاً في جلب الرزق، فإن طلب الرزق من وظيفة العباد، وأما تنظيم الأمور وترتيب الأسباب الظاهرية وغير الظاهرية التي تخرج عن إختيار العباد غالباً، فيكون بتقدير الباري تعالى[13].

العبادة والإمام المعصوم

عن الإمام الباقر (ع) قال: «**ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضى الرحمن؛ الطاعة للإمام بعد معرفته..**
أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحجَّ جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان»[14].

وعن الإمام الصادق (ع) قال: «**والله لو أن إبليس. لعنه الله. سجد لله بعد المعصية والتكبر عُمُر الدنيا، ما نفعه ذلك ولا قبله الله ما لم يسجد لآدم كما أمره الله عز وجل أن يسجد له، وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم لهم، فلن يقبل الله لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله من حيث أمرهم ويتولوا الإمام الذي أمرهم الله بولايته ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم**»[15].

إن ما مر في ذيل الحديث الشريف من أن ولاية أهل البيت ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال، يعتبر من الأمور المسلمة، بل هو من ضروريات مذهب التشيع المقدس[16].

العبادة والورع

إن الورع عن المحرمات الإلهية يكون أساس جميع الكمالات المعنوية والمقامات الأخروية. ولا يحصل لأحد مقام إلا عند الورع

عن محرمات الله. وإن القلب الذي لا يتحلى بالورع، ليصدأ. وليبلغ به الأمر إلى مستوى لا يرجى له النجاة. إن الورع يوجب صفاء النفوس وجلاءها، وإنه يكون من أهم المنازل لدى العوام، ويعتبر من أفضل زاد المسافر نحو الآخرة.

ولا بد من معرفة أن المقياس في كمال الورع على ضوء الروايات الشريفة، هو الإجتناب عن محرمات الله، وأن كل من يبتعد عن المحرمات الإلهية أكثر، يعد من أورع الناس.

عن الإمام الصادق (ع) قال: «**أوصيك بتقوى الله والورع والإجتهاد، واعلم انه لا ينفع إجتهاد لا ورع فيه**»(17).

وعنه (عليهم السلام) أيضاً قال: «**عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع**»(18).

وهذا شاهد على أن العبادات ساقطة من الإعتبار إذا كانت خالية من الورع.

ومن المعلوم أن الغاية المنشودة من العبادات والتي هي ترويض النفس ولجمها، وقهر الملكوت للمُلك والطبيعة، لا تحصل إلا بواسطة الورع الشديد والتقوى الكاملة. ثم إن النفوس المدنسة بالمعصية، لا تقبل صورة ولا رسماً إلا بعد تنظيفها من الكدر.. وتطهيرها من القذارة، حتى يتمكن الرسام من الرسم فيها. فالعبادات التي هي الصور الكمالية للنفس، لا تنفع من دون صقلها من غبار المعصية، وإنما تكون صورة من دون لب وظاهراً من دون روح.

إن الإنسـان الذي لا ورع له، يكون مـحـرومـاً من الكرامـات التي وعدها الله لعبـاده. وهذا الحـرمـان من أعظم الخذلان والشـقـاء. عن الإمام الباقر (ع) قال: «**لا تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع**»[19].



أسرار العبادة والصلاة

أسرار العبادات

إن من أسرار العبادات والرياضات ونتائجها، جعل إرادة النفس نافذة في مملكة البدن. فهي تخضع مملكة وجود الإنسان إلى سلطة كبرياء النفس وتجعلها خاضعة ومستسلمة لها تماماً.

وتمنع القوى المبثوثة والجنود المنتشرة في أرجاء ملك البدن من التمرد والأنانية والإستبداد. وتدفعها للإستسلام لملكوت باطن القلب، بل إنها تفنى في الملكوت تدريجياً ويصبح أمر الملكوت جارياً نافذاً في الملك. وبذا تقوى إرادة النفس فتنتزع زمام أمور المملكة من يد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء فتساق جنود النفس من الإيمان إلى التسليم، ومن التسليم إلى الرضا ومن

الرضا إلى الفناء. عندها تنال النفس نفحة من أسرار العبادات وتحصل بارقة من التجليات الأفعالية، وهذا لا يتحقق ما لم يؤت بالعبادة عن إقبال وإبتهاج، وما لم يحترز من التكلف والتعسف والكسل بشكل تام. حتى تظهر حالة الحب والعشق لذكر الحق تعالى ولمقام العبودية، ويتحقق الأنس والتمكن.

والأنس بالحق تعالى وبذكره من أسمى الأمور التي يوليها أهل المعرفة غاية إهتمامهم، ويتنافس فيه أصحاب السير والسلوك(20).

وأما ثمرة هذا التسليم لإرادة الحق تعالى في الدار الآخرة، فتكون بجعل الحق تعالى إرادة هذا العبد المسلم نافذة في عوالم الغيب وبجعله مثلاً له تعالى، ومثلما - أنه تقدست آلاؤه - إذا أراد شيئاً يوجده بمجرد إرادة الإيجاد، كذلك فإنه تعالى يجعل إرادة العبد قادرة على نفس الكيفية.

وقد روى بعض أهل المعرفة عن الرسول الأكرم (ص) رواية حول أهل الجنة مؤداها، إن ملكاً يأتي إليهم ويستأذن في الدخول، ثم يعطيهم رسالة من حضرة الربوبية يقرئهم فيها سلامه ويخاطبهم بالقول:

«من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت، أما بعد، فإني أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون».

قال (ص): **«فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا**

ويكون»[21].

والسلطنة الإلهية هذه إنما تمنح للعبد بعد تركه إرادته، وتخلصه من سلطنة الأهواء النفسانية وسلطة إبليس وجنوده. ولا تتحقق واحدة من هذا النتائج إلا بالحضور الكامل للقلب. وإلا فإن القلب إذا كان غافلاً ساهياً حين العبادة، فإن عبادته لا تصبح حقيقية، ولا تكون سوى أمر شبيه باللهو واللعب[22].

(والنتيجة أن): من أكبر أسرار العبادات والرياضات الشرعية أنها تجعل الجسم وقواه الطبيعية تابعة منقادة للروح بحيث يكون للإرادة دوراً مؤثراً في الجسم ويخضع الجسم وقواه الظاهرة، مقهوراً مسخراً للملكوت بحيث أنه يقوم بما يريد من دون مشقة ولا عناء.

إن من الفضائل والأسرار الشاقة والصعبة للعبادات تحقق هذا الهدف - تسخير ملك الجسم للملكوت - حيث يصير بذلك الإنسان ذا عزم، ويتغلب على الطبيعة والملك. فإذا إكتملت الإرادة وقوي العزم واشتد، أصبح مثل الجسم وقواه الظاهرة والباطنة مثل ملائكة الله لا يعصون الله، وإنما يطيعونه في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه، من دون أن يعانوا في ذلك عنتا ولا مشقة.

كذلك إذا أصبحت قوى الإنسان مسخرة للروح، زال كل تكلف وتعب وتحوّل إلى الراحة واليسر، واستسلمت أقاليم الملك السبعة للملكوت وأصبحت جميع القوى عمالاً له[23].

العبادة تقوي إرادة النفس

إعلم أن العـزم والإرادة القـوية ضـروريان لذلك العـالم وذات فـعـاليـة. إن بلوغ أحـد أفـضل مـراتب الجنة لا يكون إلاّ بالعـزم والإرادة. فـالإنسـان الذي ليـست له إرادة نافـذة ولا عـزم قـوي لا ينال تلك الجنة ولا ذلك المقام الرفيع.

جاء في الحـديث أن أهل الجنة عندما يسـتقـرون فيـها، تنزل عليـهم رسـالـة من سـاحـة القـدس الإلهي جلّت عظمـتـه بهـذا المضمون:

«هذه رسالة من الحي الثابت الخالد إلى الحي الثابت الخالد.

أنا الذي أقول للشيء: كن فيكون.

وقد جعلتك اليوم أيضاً في مستوىً إذا أمرت الشيء: وقلت كن، فيكون».

فـلاحظ أي مـقـام وسلطان هذا؟ وأية قـدرة إلهـيـة هذه التي تجـعل إرادة الإنسـان مظهـراً لإرادة الله! فـيُلبس العـدم لبـاس الوجود؟ هذه القـدرة وهذا النفوذ همـا أفضل وأرفع من كل النعم الجسمانية. وبديهي أن تلك الرسالة لم تكتب عبثاً وجزافاً.

إن من كانت إرادته تابعة للشهوات الحيوانية، وعزيمته ميتة خامدة، لا يصل إلى هذا المقام. إن أعمال الله منزهة عن العبث فكمـا أن هذا العـالم قـائم على النظام والترتيب، على الأسـبـاب والمسببات، كذلك هي الحال في العالم الآخر، بل إن العالم الآخر أليق بالنظام والأسباب والمسببات، وإن جميع نظام عالم الآخرة

ينبعث من ذلك النظام، وإن نفوذ الإرادة يجب أن يتهيأ من هذا العالم، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وإن هذا العالم مادة لكل نعم الجنة ونقم النار. إذاً، كل عبادة من العبادات، وكل منسك من المناسك الشرعية، فضلاً عن أن لها صورة أخروية وملكوتية، وبها يتم عمارة الجنة الجسمانية وقصورها، وتهيئة الغلمان والحور. طبقاً للبراهين والأحاديث. فإن لها أيضاً أثراً يحصل في النفس، مما يقوي الإرادة شيئاً فشيئاً ويصل بها إلى حد الكمال.

لذلك كلما كانت العبادات أشق كانت أرغب: «**أفضل الأعمال أحمزها**»[24].

فالتنازل عن النوم اللذيذ في ليل الشتاء البارد، والإنصراف إلى عبادة الحق المتعال، يزيد من قوة الروح وتغلبها على قوى الجسم، ويقوي الإرادة. وإذا كان هذا في أول الأمر على شيء من المشقة والعناء، فإن ذلك يخف تدريجياً كلما واصل العبادة، وإزدادت طاعة الجسم للنفس. إذ أننا نلاحظ أن أهل العبادة يقومون بالأعمال دون مشقة وتكلف. أما نحن فشعورنا بالكسل وبالمشقة ناشىء من أننا لا نبدأ بالعمل. فلو أننا بدأنا العمل وكررناه عدة مرات، لتبدلت مشقته إلى راحة، بل إن أهل العبادة يلتذون بها أكثر مما نلتذ نحن بمشتهيات الدنيا. إذاً فالأمر يصبح عادياً بالتكرار[25].

للعبادة والصلاة باطن ولب

الصلاة هي براق السير ومرقاة العروج لدى أهل المعرفة وأصحاب القلوب، ولكلّ من أهل السير والسلوك إلى الله صلاة مختصة به، وله منها حظّ ونصيب على حسب مقامه. وهذا هو حال سائر المناسك كالصوم والحج، وإن لم تكن بجامعية الصلاة «**الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق**».

إن للصلاة إجمالاً مقامات ومراتب، بحيث يكون لصلاة المصلي في كل مرتبة فرق كبير عن المرتبة الأخرى، مثلما إن لمقامه (فيها) فرقاً كبيراً عن المقامات الأخرى.

فما دام الإنسان على «صورة» الإنسان، أي أنه إنسان بالصورة (الشكل) فصلاته أيضاً تكون صورة الصلاة وصلاة صورية. وفائدة هذه الصلاة تنحصر في صحتها الفقهية وكونها مجزية (صوريا وفقهياً). هذا إذا أقامها بجميع أجزائها وشروط صحتها، ولكنها غير مقبولة ولا مرضية عند الله.

أما إذا إنتقل الإنسان من مرتبة الظاهر إلى الباطن ومن الصورة إلى المعنى، إكتسبت صلاته من الحقيقة مقدار المرتبة التي تتحقق فيها، بل إن الحال تنعكس (في علاقة التأثير) بناءً على ما تقدمت الإشارة إليه من أن الصلاة هي مركب السلوك وبراق السير إلى الله؛ فما دامت صلاة الإنسان هي صورة الصلاة، ولم يتحقق الإنسان في مرتبتها الباطنية وسرّها، فالإنسان أيضاً هو (هنا) «صورة الإنسان» ولم يتحقق بحقيقته.

إذن فالميزان في كمال الإنسانية وحقيقتها هو العروج بالمعراج الحقيقي والصعود إلى أوج الكمال والوصول إلى باب الله بمرقاة الصلاة.

لذا يلزم المؤمن بالحق والحقيقة والسالك إلى الله بقدم المعرفة أن يعدّ نفسه لهذا السفر المعنوي والمعراج الإيماني، ويصحب معه ما يلزم من العِدّة والعُدّة والمؤونة والمعونة؛ ويُبعد عن نفسه موانع السّير والسّفر وعقباتهما، وأن يطوي هذا الطريق مع الجنود الربانيين والمصاحب والموافق لكي يظل مصوناً محفوظاً من الشيطان وجنوده وهم قطّاع طريق الوصول.

وحصيلة مرادنا أن للصلاة ولجميع العبادات باطناً ولباً وحقيقةً غير هذه الصورة والظاهر والمجاز، وهذا ثابت عن طريق العقل، وهناك شواهد نقلية كثيرة عليه لا يسع المجال في هذه الأوراق ذكرها جميعاً. وهنا نتبرك بذكر بعضها:

فمنها الحديث المشهور: «**الصلاة معراج المؤمن**»(26)

وتنفتح - من التفكر والتدبر في هذا الحديث الشريف - أبواب لأهله نحن محجوبون محرومون من أكثرها. وجميع البيانات المتقدمة تستفاد من هذا الحديث الشريف عن الإمام الصادق (ع) قال: «**العباد ثلاث: قوم عبدوا الله - عز وجل - خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله - تبارك وتعالى - طلبا للثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حباً له، فتلك عبادة الأحرار وهي افضل العبادة**»(27).

ومنها قول الرسول الأكرم (ص): «**إعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(28)

وعنه (ص) أيضاً أنه قال: «**إن الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة، وركوعهما وسجودهما واحد، وإن ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض**»(29).

وروي عن أمير المؤمنين (ع) إنه قال: «**طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، فلم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يُحزن صدره بما أعطي غيره**»(30).

إذن فمن خلال التدبر في هذه الأحاديث الشريفة والتأمل في حال أئمة الهدى (عليهم السلام)، الذين كان يتغير لون أحدهم حينما يحل وقت أداء هذه الأمانة الإلهية الكبرى، وترتعد فرائصهم ويغشى عليهم ويذهلون عن كل ما سوى الله بصورة كاملة، حتى مُلك أبدانهم ومملكة وجودهم، يتضح أن هذه الصورة الدنيوية والهيئة الظاهرية الملكية ليست هي حقيقة هذه العبادة الإلهية، ولا وصفة العلاج الجامعة التي أعدّت وأنزلت على القلب المقدّس للرسول الأعظم (ص) لإطلاق هذه «الطيور القدسية» من قفص الطبيعة الضيق إلى الكشف المحمدي التام. فتلك الصورة الدنيوية الظاهرية يمكن لأي عالم عارف بالأحكام أو عامي يقرأ الأبجدية أن يؤديها على وفق شروط صحتها الصورية وكمالها الظاهري. فلا معنى ـ عندها ـ لذلك المقدار من تغير الألوان وارتعاد الفرائص والخوف والخشية من القصور والتقصير.

سُئل الإمام جعفر بن محمد (ع) بحضرة أبي جعفر المنصور عن الصلاة وحدودها فقال (ع): «**للصلاة أربعة الآف حد لست تفي بواحد منها**» فقال: أخبرني بما لا يحلّ تركه ولا تتم الصلاة إلا به.

فقال (ع): «**لا تتم الصلاة إلا لذي طهر سابغ وتمام بالغ غير نازغ ولا زائغ، عرف فأخبت فثبت وهو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع، كأن الوعد له صُنع، والوعيد به وقع، بذل عِرضه وتمثّل غرضه، وبذل في الله المهجة، وتنكّب إليه المحجة، غير مرتغم بإرتغام، يقطع علائق الإهتمام بغير من له قصد وإليه وفد، ومنه استرفد. فإذا أتى بذلك كانت هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر**»[31].

وإذا كانت هذه الحدود «الأربعة آلاف» هي من الحدود الظاهرية والآداب الصورية لما قال (ع) «**لست تفي بواحد منها**» فواضح أن كل شخص يستطيع القيام بالآداب الصورية للصلاة.

نعم إن قطع التعلق بغير الحق والوفود إلى حضرته وبذل المهجة في سبيله، وترك الغير والغيرية بصورة كاملة هي من الأمور التي لا تتيسر لأحد سوى لأهل المعارف الإلهية والأولياء الكمل والمحبين والمجذوبين.

فطوبى لهم ثم طوبى لهم وهنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم[32].

مراعاة الباطن شرط لتحصيل المعارف الإلهية

عموماً، فإن النتيجة المتوخاة من العبادات، تتمثل في تحصيل المعارف، وتمكين التوحيد والمعارف الأخرى في القلب، وهذا لا يتحقق ما لم يستوف السالك نصيبه القلبي من العبادات، وما لم ينتقل من الصورة والإطار إلى الحقيقة واللبّ، ويتخطى حدّ الدنيا ويعبر قشرها. فهذا الوقوف - عند القشر - عائق في طريق سلوك الإنسانية.

وإن أولئك الداعين إلى الإقتصار على الظاهر المحض ممن يصدون الناس عن الآداب الباطنية ويدّعون أن ليس للشريعة معنى وحقيقة سوى هذا الظاهر الصرف والقشر البحت، إنما هم شياطين يقطعون السبيل إلى الله، وأشواك متناثرة في طريق الإنسانية، ينبغي لنا الإستعاذة بالله تعالى من شرّهم، وإلا فهم يطفئون في الإنسان نور فطرة الله، نور المعرفة والتوحيد والولاية وسائر المعارف الإلهية، ويضربون أمامه حجب التقليد الأعمى والجهل والتعوّد والأوهام، ويصدون عباد الله تعالى عن الإعتكاف في باب محضره، وعن الوصول إلى جماله الجميل، ويسدون الطريق إلى المعارف، ويجعلون القلوب النقية الطاهرة - التي بذر الحق تعالى بذور المعرفة في أعماقها بيد جماله وجلاله، ثم أرسل الأنبياء العظام وأنزل الكتب السماوية انباتاً لتلك البذور وتفضلاً في رعايتها - تتوجه نحو الدنيا وزخارفها وشؤونها المادية والجسمانية وما يلتحق بها، وتبتعد عن الشؤون الروحانية المعنوية

والسعادات العقلية، ويقصرون عوالم الغيب والجنان الموعودة على ما لذّ من الطعام والشراب الحيواني وعلى النكاح وغير ذلك من الملذّات الحيوانية الصرفة.

فهؤلاء يتوهمون أن الحق تعالى، قد تفضل بنشر كل هذه الرحمة، وأنزل الكتب، وأرسل الملائكة، وبعث الأنبياء (عليهم السلام)، وبكل ما يرتبط بذلك من مراسم ونظم فقط من أجل تيسير أمور البطن والفرج!!! فغاية ما توصلوا إليه من معرفةٍ في الدنيا هو حفظ البطن والفرج من السوء لنيل ما يشبع لذتهما في الآخرة!!

والإهتمام الذي أولوه لما أشارت إليه بعض الأحاديث من الجماع الذي يدوم خمسمئة عام في الجنة، لم يولوا مثله للتوحيد والنبوة!! ولو أن حكيماً إلهياً أو عارفاً ربانياً أراد أن يفتح باباً من الرحمة أمام عباد الله، أو يتلو عليهم صفحة من كتاب الحكمة الإلهية، فإن أولئك لا يتورعون عن تكفيره أو نبزه ببئس الأسماء أو إتهامه بمختلف التهم المشينة. لقد غرق هؤلاء - من حيث لا يشعرون - في بحر الدنيا واسرفوا في المبالغة بالإهتمام بشهوات البطن والفرج إلى درجة رفضوا معها قبول أي فكرة تقول بوجود سعادة أخرى سوى هذه الشهوات الحيوانية في دار التحقق، رغم أن السعادة العقلية لو كان لها وجود، فإنها لن تضرّ ببطون هولاء وفروجهم.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أننا لا نقصد بأولئك الذين يعدون

أشواكاً في طريق السلوك، الإشارة إلى علماء الإسلام العظام وفقهاء المذهب الجعفري الكرام (عليهم رضوان الله). وإنما نريد به ذلك البعض من أهل الجهل المتلبسين بلبوس العلم الذين أصبحوا ـ عن قصور وجهل لا عن تقصير أو عنادٍ ـ قطاعاً لطريق عباد الله(33).

العجز عن العبادة الحقة

إعلم أن ليس أحد من المخلوقات بقادر على عبادة الحق تعالى حق عبادته. لأن العبادة هي الثناء على مقام ذات الله المقدسة، وثناء كل شخص فرع معرفته بمن يُثني عليه.

ولما كانت يد آمال العباد، في الحقيقة قاصرة، عن معرفة عزِّ جلال ذاته، فهم إذاً ليسوا قادرين على الثناء على جماله وجلاله.

وقد إعترف بذلك أشرف الخلائق وأعرف الكائنات بمقام الربوبية:

«ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حق معرفتك».

حيث الجملة الثانية هي بمثابة التعليل للجملة الأولى إذ قال: **«أنت كما أثنيت على نفسك»**.

إذا فالقصور الذاتي من شأن الممكن، والعلو الذاتي خاص بذات كبرياء الله جل جلاله.

ولما كان العباد قاصرين عن الثناء على الله تعالى وعن عبادة ذاته المقدسة، ومن دون معرفة الحق سبحانه وعبوديته لا يمكن

لأحد من عباده أن يبلغ المقامات الكمالية والمدارج الأخروية - كما هو ثابت ومبرهن عليه عند علماء الآخرة في محله - ولكن العامة غافلون عن ذلك، ويحسبون المدارج الأخروية جزافاً أو شبيهة بالجزاف. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -؛ لمّا كان كذلك فقد فتح الله تعالى بلطفه الشامل ورحمته الواسعة باباً من الرحمة والرعاية للعباد عن طريق تعليمات الوحي الغيبية والإلهام، وبواسطة الملائكة والأنبياء. ذلكم هو باب العبادة والمعرفة. فعلّم العباد طرق عبادته، وفتح لهم سبيلاً إلى المعارف لكي يخففوا من نقائصهم قدر الإمكان، ويسعوا لنيل الكمالات الممكنة، ويهتدوا بأشعة نور العبودية للوصول إلى عالم كرامة الحق، وإلى الروح والريحان وجنات النعيم، بل إلى رضوان الله الأكبر.

إذاً فتح باب العبودية من النعم الكبرى التي تدين لها الكائنات كافة، دون أن تستطيع الوفاء بحق الشكر، بل إن كل شكر هو فتح باب كرامة لا تقدر على شكره أيضاً.

فإذا علم الإنسان مشربه هذا، وأطلع قلبه عليه، إعترف بتقصيره. حتى لو أنه تقدم إلى أعتاب الله جل جلاله بعبادة الجن والإنس والملائكة المقربين، لكان مع ذلك خائفاً مقصراً.

وكذلك إن عباد الله العارفين وأولياءه المختصين به الذين فتح لهم باباً من سرّ القدر، واستنارت قلوبهم بنور المعرفة، لترتجف قلوبهم من الخوف، ونفوسهم من الخشية، بحيث لو اتجهت إليهم الكمالات كلها، وأعطوا مفاتيح المعارف كلها، وأُترعت قلوبهم

بالتجليات، لما قلّ من خوفهم قدر شعرة، ولا من خشيتهم قدر شعرة، كما يقول أحدهم: الناس تخاف النهاية وأنا أخاف البداية.

سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أعوذ بالله تعالى. يعلم الله يجب أن يتقطع قلب الإنسان من هذا الكلام، ويذوب خوفاً، ويهيم على وجهه في البراري. فإلى أي حد يكون الإنسان غافلاً؟ إننا في كل عباداتنا وطاعاتنا إنما نريد مصالحنا الخاصة، ودافعنا إليها هو حب النفس. وما الزهد في الدنيا في الحقيقة إلا من أجل الآخرة. وهو أشبه بالزهد في الدنيا من أجل الدنيا عند الأحرار.

فلو ذهبنا بعبادة الثقلين إلى محضر قدسه الربوبي، لما كان استحقاقنا سوى البعد عن ساحته المقدسة. لقد دعانا الحق تبارك وتعالى إلى مقام قربه وأنسه وقال: «**وخلقتك لأجلي**» وجعل غاية الخلق معرفته، وهدانا إلى طرق المعارف والعبودية، ولكننا مع هذا لم نشغل أنفسنا إلا بتعمير البطن والفرج، ولا همّ لنا سوى الأنانية وحب الذات. فيا أيها الإنسان المسكين، الذي لم تجن من عبادتك ومناسكك إلا البعد عن ساحة الله المقدسة، والإستحقاق للعتاب والعقاب، علام اعتمادك؟

ولماذا لا يقلقك ولا يزعجك الخوف من شدة بأس الحق؟ أعندك متكأ تتكىء عليه؟

أتثق بعملك وتطمئن إليه؟

إذا كان الأمر كذلك فالويل لك من معرفتك بمالك وحال مالك

الملوك! وإذا كان اعتمادك على فضل الحق وسعة رحمته وشمول عناية ذاته المقدس، لكان ذلك في محلّه جداً. لقد اعتمدت على أمر وثيق، ولجأت إلى أوثق ملجأ.

إلهي، وربي! إن أيدينا عن كل شيء قاصرة، ونحن عارفون بأننا ناقصون وتافهون، ولا نملك ما يليق بأعتاب قدسك. كلنا نقص وعيب. ظاهرنا وباطننا ملوث بالمهالك والموبقات.

فمن نحن حتى نرجو القدرة على الثناء عليك، فيما يعترف الولي من أوليائك: «**أفبلساني الكال هذا أشكرك!**»

مقراً بعجزه وقصوره، فكيف بنا نحن أهل المعصية المحجوبين عن ساحة كبريائك؟

ما عسانا نقول سوى أن نحرك السنتنا قائلين:

إن رجاءنا موكول إلى رحمتك، وإن أملنا وثقتنا بفضلك ومغفرتك، وجودك وكرمك، كما جاء على ألسنة أوليائك فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

«قال رسول الله (ص): **قال الله تبارك وتعالى: لا يتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وبذلوا أنفسهم. اعمارهم. في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ومَنِّي يُبلِّغهم رضواني،**

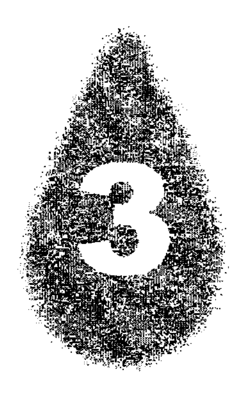
ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت»(34)(35).

ثمرات العبادة

(إذاً) لهذه العبادة ثمرات، منها: أن صورة العمل نفسه تصبح على قدر من الجمال في ذلك العالم لا يكون له نظير في هذا العالم، ونحن عاجزين عن تصور مثلها.

ومنها: أن النفس تصبح ذات عزم واقتدار، فتكون لها نتائج كثيرة.

ومنها: أيضاً أنها تجعل الإنسان يأنس بالذكر والفكر والعبادة، فإن المجاز قد يقرّب الإنسان إلى الحقيقة، فيتوجه القلب إلى مالك الملوك، وتحل المحبة لجمال المحبوب الحقيقي، ويخفّ تعلق القلب وحبه للدنيا والآخرة. إذ لو حصلت الجاذبية الربوبية والحال الخاصة، لأمكن إدراك حقيقة العبادة والسر الحقيقي للتذكر والتفكر. ولسقط كلا العالمين ـ الدنيا والآخرة ـ من نظره، ولأذهب تجلي الحبيب غبار الرؤية الإثنينية من القلب، ولا يعرف أحد سوى الله الكرامة المعطاة لمثل هذا العبد(36).



التساهل بالعبادة والصلاة



عاقبة التساهل بالعبادة والصلاة

إعلم أن التفرغ للعبادة يحصل من تكريس الوقت والقلب لها، وهذا من الأمور المهمة في باب العبادات. فإن حضور القلب من دون تفريغه وتكريس الوقت له غير ميسور، والعبادة من دون حضور القلب غير مجدية. وما يبعث على حضور القلب، أمران:

أولهما: تفريغ القلب والوقت للعبادة

ثانيهما: إفهام القلب أهمية العبادة

والمقصود من تفريغ الوقت هو أن الإنسان يخصص في كل يوم وليلة وقتاً للعبادة ويوطن نفسه على العبادة في ذلك الوقت، رافضاً الإنشغال في ذلك الوقت بأي عمل آخر.

إن الإنسان إذا إقتنع بأن العبادة من الأمور الهامة، وأنها أكثر أهمية بالنسبة إلى الأمور الأخرى، بل لا مجال للمقارنة بين العبادة والأمور الثانية الأخرى، لحافظ على أوقات العبادة وخصص لها وقتاً.

وعلى أي حال لا بد للإنسان المتعبد، أن يوظف وقتاً للعبادة. وأن يحافظ على أوقات الصلاة التي هي أهم العبادات وأن يؤديها في وقت الفضيلة، ولا يختار لنفسه في تلك الأوقات عملاً آخر.

وكما أنه يخصص وقتاً لكسب المال والجاه والدراسة والبحث، كذلك لا بد أيضاً من تخصيص وقت للعبادات، حتى يكون خالياً من أي عمل آخر، ويتيسر له حضور القلب الذي هو بمثابة اللبّ والجوهر.

ولكن إذا فرضنا بأن شخصاً مثلي تكلّف من أداء صلاته، ورأى بأن العبادة من الأمور الزائدة، لأجّل صلاته إلى آخرالوقت، ولأتى بها بكل فتور ونقص، لما يرى حين التهيؤ للصلاة بأن هناك أموراً أخرى في نظره أهم منها، وأنها تتزاحم مع هذه الأمور الهامة، فيفضل غير الصلاة عليها.

وأن هذا الشخص مستخف بالصلاة ومتهاون في أمرها، ومن المعلوم أن مثل هذه العبادة لا نورانية لها، بل تكون مثار سخط الله.

أعوذ بالله من الإستخفاف بالصلاة وعدم الإكتراث بها!

عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: «**لا تتهاون بصلاتك**

فإن النبي (ص) قال عند موته:

ليس مني من استخف بصلاته، ليس مني من شرب مسكراً، لا يردُ عليَّ الحوض لا والله»[37].

وقال أبو الحسن الأول (عليه السلام): «**لما حضرت أبي الوفاة قال لي: يا بني لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة»**[38].

والأخبار كثيرة في المقام، ويكفي هذان الحديثان لمن يريد أن يعتبر ويتعظ. ويعلم الله وحده حجم المصيبة العظمى الناشئة من الإنقطاع عن الرسول الأكرم (ص) والخروج من تحت ظل حمايته كما حدد في الحديثين الشريفين. كما أن الله يعلم مستوى الخذلان، عندما يمنى الإنسان بالحرمان من شفاعة رسول الله وأهل بيته العظام!

لا تظن بأن أحداً يرى رحمة الحق سبحانه ووجه الجنة، من دون شفاعة رسول الله (ص) وحمايته ورعايته!

والآن انتبه إلى أن تقديم أي عمل بسيط، بل المصلحة الموهومة على الصلاة التي هي قرّة عين الرسول (ص)، والوسيلة الرفيعة لنزول رحمة الحق، وإهمالها وتأخيرها إلى نهاية وقتها من دون مسوّغ، وعدم المحافظة على حدودها، كل هذه الأمور تعتبر من التهاون والإستخفاف بالصلاة.

فإذا كان هذا من التهاون في الصلاة فاعلم حسب شهادة رسول الله (ص) وشهادة الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، أنك قد خرجت عن ولايتهم، ولا تنالك شفاعتهم.

إنتبه، إذا أردت شفاعتهم ورغبت في أن تكون من أمة رسول الله (ص)، إهتم بهذه الوديعة الإلهية، وعظِّم أمرها، وإلا فأنت تواجه العقاب والعاقبة السيئة.

إن الله تعالى وأولياءه في غنى عن أعمالي وأعمالك، فيخشى أنك إذا لم تهتم بها، أدى ذلك إلى تركها وينتهي الأمر إلى جحودها فتصير من الأشقياء المؤبدين والهالكين الدائمين.

والأهم من تفريغ الوقت تفريغ القلب، بل أن تفريغ الوقت مقدمة لتفريغ القلب أيضاً. وذلك أن الإنسان لدى إشتغاله بالعبادة، يجرد نفسه من هموم الدنيا وأعمالها، وينقذ قلبه من الأوهام المشتتة، والأمور المختلفة، ويفرغ فؤاده نهائياً، ويخلِّصه مرّة واحدة للتوجه إلى العبادة والمناجاة مع الحق المتعال. ولو لم يفرغ القلب من هذه الأمور، لما حصل لقلبه ولعبادته الانقطاع.

ولكن شقاءنا في أننا نترك كل أفكارنا المتشتتة، وأوهامنا المختلفة إلى وقت العبادة، وعندما نكبِّر تكبيرة إحرام الصلاة، فكأننا فتحنا باب المتجر، أو دفتر الحساب، أو كتاب الدرس، ونرسل قلبنا للإنصراف إلى أمور أخرى، ونغفل كلياً عن العمل العبادي، وعندما ننتبه للعبادة نجد أنفسنا في نهاية الصلاة!

وفي الحقيقة أنه لمن الفضيحة أمر هذه العبادة، ومما يبعث على الخجل أمر هذه المناجاة.

عزيزي: إجعل مناجاتك مع الحق سبحانه بمثابة التحدث مع إنسان بسيط من هؤلاء الناس؛ فماذا بك إذا تكلمت مع صديق،

بل مع شخص غريب إنصرف قلبك عن غيره، وتوجهت بكل وجودك نحوه أثناء التكلم معه. ولكنك إذا تكلمت وناجيت ولي النعم، ورب العالمين، غفلت وانصرفت عنه إلى غيره!!

هل أن العباد يُقدَّرون أكثر من الذات المقدسة للحق؟

أو أن التكلم مع العباد أغلى من المناجاة مع قاضي الحاجات؟

نعم أنا وأنت، لا نعرف ما هي المناجاة مع الحق سبحانه!

إننا نرى التكاليف الإلهية كلفة وفرضاً علينا. ومن الواضح أنه متى ما أصبح شيء حملاً ثقيلاً على الإنسان وعلى شؤون حياته، لما اعتبر عنده ذلك الشيء ذا بال وأهمية.

إنه لا بد من إصلاح الينبوع، والعثور على الإيمان بالله وبكلمات انبيائه حتى يتم إصلاح الأمور.

إن كل تعاستنا من ضعف الإيمان ووهن اليقين.

إن إيمان السيد ابن طاووس (رضي الله تعالى عنه)، يدفعه للإحتفال بيوم بلوغه، لأن الحق المتعال قد رخص له المناجاة، وزيّنه بزينة التكليف والخطاب.

نلاحظ بكل دقة أي قلب هذا الذي يحمل هذا القدر الكبير من النور والصفاء. إذا لم يكن عمل هذا السيد الجليل حجة عليك، فعمل سيد الموحدين وأولاده المعصومين حجة عليك، فتأمل في حياتهم وكيفية عباداتهم ومناجاتهم، حيث كان لون وجه بعضهم يتغير لدى حلول وقت الصلاة، وتضطرب فرائصه خشية أن يخطىء في الواجب الإلهي، رغم إنهم كانوا معصومين.

إشتهر عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) أن سهما قد أصاب رجله المباركة، فلم يستطع أن يتحمل ألم إنتزاعه من رجله، فقام وصلى وفي أثناء إشتغاله بالصلاة، انتزعوا له السهم من دون أن ينتبه أصلاً. وعلى أي حال إن تفريغ القلب من غير الحق يعد من الأمور المهمة التي يجب على الإنسان أن يحققها مهما كلف الثمن، والسبيل إلى تحصيله ميسور وسهل، فمع قدر قليل من الإنتباه والمراقبة نستطيع أن ننجزه[39].

موعظة للإمام الخميني (قده)

أيها العزيز: قم من نومك الثقيل، وعالج هذه الأمراض المختلفة بالقرآن والحديث وتمسك بحبل الله المتين وذيل أولياء الله، فإن رسول الله (ص) ترك هاتين النعمتين العظيمتين لنا، لننجو من ظلمات الطبيعة بواسطة التمسك بهما ونتخلص من هذه الأغلال، ونتصف بسيرة الأنبياء والأولياء. فما بالنا حتى تبعدنا علوم الأنبياء والأولياء عن الله كل يوم، وتبعدنا عن حزب العقل، وتقربنا إلى الشيطان وحزب الجهل؟ ومتى نفكر في الإصلاح؟... لقد صرت طالباً للعلم وتجاوزته فصرت عالماً، وجلست على مسند الفقه والفلسفة والحديث وأمثالها، ولكن لم تصلح نفسك!

ومتى ترفع قدمك في سبيل الله؟

كل هذه كانت الدنيا، وقد قربتك إلى الدنيا وابعدتك عن الله والآخرة، وزادت في قلبك العلاقة بالدنيا والطبيعة:

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾(40)

هكذا هو حال العلماء.

وأما أهل العمل والزهاد والعباد فلا بد لهم أن يفتشوا عن أحوال أنفسهم ويتحسسوا فيروا ماذا تركت خمسون سنة من العبادة والزهد في قلوبهم من الآثار؟

وهل الصلاة في خمسين سنة قربتهم من أخلاق الأنبياء (عليهم السلام) وأحباء الله، وأوجدت فيهم الخوف والخشية والتواضع وأمثالها، أو أن صلاة خمسين سنة أوجدت فيهم العجب والكبر؛ فهم يدلِّون ويتكبرون على عباد الله ويتوقعون منهم الإحترام والإكرام؟

فإذا كان هذا، فليعلموا أن الشيطان قد تصرف فيهم وأن أعمالهم كانت شيطانية ونفسانية، وأعمال كهذه تبعدهم عن السعادة والإرتباط بالله وتقربهم من الشيطان وجنود أبليس.

إن صلاةً هي معراج المؤمن وقربان المتقين لا بد أن تقطع علائق الدنيا عن القلب وتفك عنه أغلال الطبيعة وتجعله إلهياً وربانياً. إن السجود على التراب خمسين سنة لا بد أن يوجد في الإنسان روح التواضع والتذلل لو لم يكن تصرف الشيطان في الوسط.

إن صلاة يؤتى بها على يد الشيطان هي معجون لإبليس لا معجون إلهي. ومعجون كهذا لا يدع الأمراض القلبية فحسب بل

يزيد في الأمراض والأوجاع الباطنية، ويقرب القلب من حزب الشيطان والجهل.

فالويل لمصلٍّ زعم أنه قصد القربة في الصلاة طوال خمسين سنة، وقال في إفتتاح صلاته: **﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض﴾**(41).

وقال في حضور القلب: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**.

وبعد كل هذه الإدعاءات يبتعد في كل يوم مراحل عن مقام قرب الله. ويصير محجوباً عن معراج القرب، ويتقرب من إبليس ومقامه وحزبه الشيطاني. وعوضاً عن ثمرة التقرب إلى الحق تعالى والتجافي عن دار الغرور، تظهر عنده ثمرة الغرور الشيطاني والعجب والكبر إرث إبليس، «ألم يأن» أن نكون في صدد إصلاح النفس ونخطو خطوة في علاج أمراضها! لقد خسرنا رأس مال شبابنا بلا عوض، وبغرور النفس والشيطان أفلتنا من أيدينا «الشباب» الذي لا بد أن نهيء به السعادات في الدارين. وحتى الآن لسنا في صدد الإصلاح، إلى أن يخرج رأس مال حياتنا من اليد بالكامل، وننتقل عن هذه الدنيا بالخسران التام والشقاوة الكاملة.

إن أيام الشباب أولى بإصلاح النفس لأن الإرادة فيها تكون أقوى كما أن كدورة النفس وظلمتها تكون أقل. ونحن فيها أقرب إلى الفطرة ولم نُثقَل بالمعاصي حتى يكون جبرانها صعباً.

أيها الشباب إغتنموا أيام الشباب ولا تفلتوا هذه النعمة

العظيمة بغفلتكم فإن إصلاح النفس في أيام الشيخوخة صعب جداً. إن للإنسان في سن الهرم مشكلات كثيرة ليست موجودة في أيام الشباب، ولكن الشيطان والنفس الأمارة يغران الإنسان، ولا يتركانه في ذلك الوقت يبدأ بالإصلاح إلى أن يبتلى بوهن الشيخوخة وضعفها، وتكون المعاصي متراكمة، وكدورات النفس كثيرة، ومن ثم يقضي أيامه بالتسويف والتعويق، إلى أن يفنى أصل رأس المال، ويرد إلى دار الإنتقام مع الخذلان والخسران:

﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾(42).

أي خسران أعلى من أن يصرف الإنسان رأس مال السعادة الأبدية بالشقاوة الأبدية، وما به الحياة والنجاة يصرفه في هلاك نفسه وفنائها، ولا يتنبه إلى آخر عمره من سكره وغفلته(43).



الآداب القلبية للعبادة والصلاة

إستحضار عز الربوبية وذلّ العبودية

أحد الآداب القلبية المطلوبة في العبادات، والوظائف الباطنية لسالك طريق الآخرة، «الإلتفات إلى عز الربوبية وذلّ العبودية». وهو من المنازل المهمة للسالك، فقوة سلوك السالك تعتمد على قوة هذا «الإلتفات».

بل إن كمال إنسانية الإنسان ونقصها مرتبط بكمال هذا الإلتفات ونقصه، وكلما غلب على الإنسان التوجه والإلتفات إلى الإنية والأنانية والعجب والغرور كان بعيداً عن كمال الإنسانية، ونائياً عن مقام قرب الربوبية.

السالك ما دام متعلقاً بنفسه متوجهاً إلى إنيته فهو ليس بمسافر، وما دام يرى آثار الأنانية وجدران مدينة نفسه قائمة

ويسمع أذان حب النفس فهو في حكم الحاضر لا المسافر والمهاجر.

ورد في مصباح الشريعة أن الصادق (ع) قال:

«**العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية**»[44]. فمن يسير بخطى العبودية ويكوي ناصيته بجمر ذل العبودية يصل إلى عزّ الربوبية.

فالوصول إلى حقائق الربوبية إنما يكون بالسير في مدارج العبودية. وكل ما يفقد من الإنية والأنانية في العبودية، يدرك في ظل حماية الربوبية.

أما إذا ارتقى السالك مرتبة أعلى وتخلّى عن صلاحياته وفوّض أمر حكومة وجوده بالكامل إلى الحق تعالى، وأوكل أمر البيت لصاحب البيت وفني في عز الربوبية، فإن صاحب بيته يصبح هو المتصرف في الأمور. وعندها ستكون تصرفات السالك تصرفات إلهية، فتصبح عينه إلهية فينظر بعين الحق، وأذنه إلهية فيسمع بأذن الحق. والعكس صحيح كذلك فكلما كانت ربوبية النفس كاملة، وكلما كان عزها مأخوذاً في الإعتبار، قلّ ونقص عزّ الربوبية بالمقدار نفسه، فهما نقيضان: «**الدنيا والآخرة ضرتان**»[45].

إذن فمن الضروري للسالك إلى الله أن يدرك مقام ذلّ نفسه، وأن يجعل «ذل العبودية وعز الربوبية» نصب عينيه يتأمل فيه،

فكلما ترسخ لديه الإعتقاد بهذا الشعار، ازدادت عبادته روحانية، وقويت روح العبادة فيه، حتى إذا تمكن بمعونة الحق تعالى وأوليائه الكمل (عليهم السلام) ـ من الوصول إلى حقيقة العبودية وكنهها، نال نفحة من سرّ العبادة. وجميع العبادات ـ خصوصاً الصلاة التي لها صفة الشمول بالنسبة لباقي العبادات والتي لها بين سائر العبادات منزلة الإنسان الكامل ومنزلة الإسم الأعظم بل إنها الإسم الأعظم ذاته ـ تنطوي على هذين المقامين، مقام عز الربوبية (وهو الحقيقة) ومقام ذلّ العبودية (وهو أمة تلك الحقيقة ووصيفتها) وبشكل إختص فيه بالقنوت في الصلوات المستحبة وبالسجدة من الصلوات الواجبة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العبودية المطلقة هي من أعلى مراتب الكمال ومن أرفع مقامات الإنسانية، ولا نصيب لأحد من البشر منها سوى أكمل خلق الله محمد (ص) أصالة وسائر الأولياء الكمل (عليهم السلام) تبعاً له.

أما من سواهم فقدم عبوديتهم عرجاء وعبادتهم وعبوديتهم معلولة. ولما كان من غير الممكن الوصول إلى المعراج الحقيقي المطلق إلا بقدم العبودية، نرى أن قدم العبودية وجذبة الربوبية هي التي أسْرَت بتلك الذات المقدسة الرسول الأكرم (ص) إلى معراج القرب والوصول لذا قال تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده..﴾(46) (47).

الخشوع

من الأمور الضرورية للسالك واللازمة لجميع العبادات لا سيما الصلاة - رأس العبادات كافة وذات الصفة الجامعة - هو الخشوع. وحقيقته الخضوع التام الممزوج بالحب أو الخوف.

قال تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾.

فالآية الكريمة عدّت الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلاماته. وعلى أساس قوله تعالى هذا فإن غير الخاشع في صلاته خارج عن زمرة أهل الإيمان، كما أن صلواتنا غير مشفوعة بالخشوع نتيجة نقص الإيمان أو فقدانه.

والحاصل أن سالك طريق الآخرة - لا سيما السالك بمعراج الصلاة - مطالب بأن يجعل قلبه خاشعاً بنور العلم والإيمان، وبأن يمكّن هذه النفحة الإلهية والبارقة الرحمانية في قلبه قدر المستطاع، علّه يتمكن من حفظ هذه الحالة من الخشوع في جميع أجزاء الصلاة.

وهذه الحالة من تمكّن الخشوع وإستقراره وإن كانت في البداية أمراً صعباً نوعاً ما لأمثالنا، إلا أنها أمرٌ غاية في الإمكان بقليل من الممارسة وترويض القلب.

إن تحصيل الكمال والتزود للآخرة يستلزم - يا عزيزي - سعياً وبذلاً وجهداً، وكلما كان المطلوب أعظم كان الجد في السعي في سبيله أجدر. ولا شك أن معراج القرب الإلهي ومقام التقرب

لجوار رب العزة لا يستحصل بحالة الفتور والتهاون والتساهل، بل ينبغي القيام بشجاعة وحزم للوصول إلى المطلوب.

والسبيل للوصول إلى.. السعادة إنما هو طاعة رب العزة، وبين كل الطاعات والعبادات ليس هناك نظير للصلاة في مرتبتها، فهي التركيب الإلهي الجامع والمتكفل بتحقيق السعادة للبشر، وقبول جميع الأعمال مرهون بقبولها.

لذا عليك ـ يا عزيزي ـ التحلي بكامل الجد في السعي إليها، والدأب وتحمّل المشاق في سبيل ذلك، واعلم أن لا مشقة في ذلك، فأنت إن واظبت عليها فترة وحصل لك الأنس القلبي بها فإنك ستنال في هذا العالم لذائذ من مناجاة الحق لا يمكن مقارنتها بأيٍّ من اللذات الأخرى، وهو ما يتجلى بوضوح من مطالعة أحوال أهل مناجاة الحق تعالى.

وخلاصة القول: إن على الإنسان أن يدرك عظمة الحق وجماله وجلاله سواء عن طريق البرهان أو ما أثر عن الأنبياء، وأن يجعل قلبه مستحضراً لذلك.

وعليه أن يعلّمه الخشوع رويداً رويداً بالتذكر والتوجه القلبي والمواظبة على ذكر عظمة الحق وجلاله، لكي تتحقق من ذلك النتيجة المرجوّة.

وعموماً، فإن على السالك أن لا يقنع بالمقام الذي هو فيه، فكل مقام يحصل عليه أمثالنا لا يساوي نقيراً عند أهل المعرفة، ولا يُشترى حتى بحبة خردل من قبل أصحاب القلوب.

على السالك أن يكون في جميع الأحوال مستذكراً لنقائصه ومعايبه، عسى أن يفتح له بذلك سبيل السعادة[48].

الطمأنينة

من الآداب القلبية الهامة في العبادات . خصوصاً ما يتميز منها بالذكر ـ الطمأنينة.

فهي إشارة إلى أداء السالك العبادة بسكينة قلب واطمئنان بال. فالسالك إذا قام بأداء تلك الأعمال وهو في حالة من إضطراب القلب وعدم الإستقرار، فإن القلب لن يتفاعل معها ولن تحصل منها آثار على ملكوته، ولن تعكس حقيقة العبادة الصورة الباطنية للقلب.

فإن أحد الأهداف المنظورة من تكرار العبادات والإكثارمن الأذكار والأوراد جَعلُ القلب متأثراً بها متفاعلاً معها، حتى تُشكل حقيقة الذكر والعبادة باطن السالك شيئاً فشيئاً وتجعل قلبه متحداً مع روح العبادة، غير أن القلب ما لم يتصف بالإطمئنان والسكينة والوقار، فإن الأذكار لن تؤثر فيه، ولن تسري من حدود الظاهر ومن ملك البدن إلى ملكوت النفس وباطنها، ولن ينال القلب حظه من حقيقة العبادة. وهذا الأمر من الواضحات التي لا تحتاج إلى توضيح، يكفي لإدراكها قليل من التأمل.

والعبادة إذا كانت هكذا ـ مما لا أثر له في القلب تماماً ومما لا يؤدي إلى ظهور آثار في الباطن ـ فإنها لن تحفظ في العوالم

الأخـرى ولن تـرتقي مـن عــالم الملك[49] إلى عــالم الملكوت وقــد تُمـحى صـورتهـا ـ لا سـمـح الله ـ من صـفـحـة القلب وتزول بشكل كامل عند شدائد الموت وسكراته الرهيبة وأهوال ومصائب ما بعد الموت، فـيـذهب الإنسـان إلى مـحـضـر الحق المقـدس وهـو صـفـر اليدين.

فلو أن أحداً ردد الذكـر الشـريف «لا إله إلا الله مـحـمـد رسـول الله» وعلّم قلبـه إياه بسكينـة وإطمئنان، فإن لسـان القلب سيـردده تدريجـيـاً حـتى يصبح اللسـان الظاهـري مـردِّداً وراء لسـان القلب، فيصبح القلب هو الذاكر أولاً ثم اللسـان.

ويشـير إلـى هـذا المعنى قـول الإمام الصـادق (ع): **«فاجعل قلبك قبلةً للسانك لا تحركه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضى الإيمان»**[50][51].

الإقبال والمراعاة

من الآداب القـلبيـة الأخـرى الضـرورية في الصـلاة وفي سـائر العبـادات، والتي يؤدي التحلي بها إلى نتائج طيبة، وإلى فتح بعض المغاليق من الأبواب، وكشف بعض أسرار العبادات إجتهاد السالك في إقـامـة العـبـادة بإقـبـال القلب وإبتـهـاجـه وسـرور الخـاطر وانبـسـاطه، والإحـتـراز بشـدة من الكسل وإدبار النفس حين أداء العـبـادة. لذا، فإن عليـه أن ينتـقي للعبـادة وقتـاً تكون النفس فـيـه مقبلة عليها متمتعة بالنشاط والحيوية، بعيدة عن التعب والفتور.

لأن النفس إذا أكرهت على العبادة وهي تعبة فاترة لربما أدى ذلك إلى آثار سيئة، كأن يصاب الإنسان بعد الفراغ من العبادة بالضجر منها، وتضاعف التكلف فيها، الأمر الذي سيؤدي تدريجياً إلى تنفر طباع النفس، علاوة على ما قد يخلفه ذلك من صرف الإنسان عن ذكر الحق نهائياً، ويحمّل الروح العذاب من مقام العبودية الذي يعدّ منشأ جميع أنواع السعادة.

ولا تحصل من مثل تلك العبادة نورانية قلبية، كما أن باطن النفس لن يتفاعل معها، ولن تصير صورة العبودية صورة لباطن القلب، والحال أن هذه النتيجة هي الغاية المنشودة من ممارسة العبادات.

عن الإمام الصادق (ع): «**قال رسول الله (ص): يا علي إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربك**»[52].

وعن الإمام العسكري (ع) قال: «**إذا نشطت القلوب فأودعوها وإذا نفرت فودعوها**»[53].

من الأحاديث أعلاه ومن أحاديث أخرى يستفاد وجود أدب آخر يعد من الأمور الهامة في الرياضة وهو: «أدب المراعاة». إذ يلزم السالك في أية مرتبة كان، مراعاة حاله والتعامل مع النفس بالرفق والمدارة، وتجنب تحميلها فوق طاقتها وبما لا يتناسب مع حالها، والأمر أوكد بالنسبة للشبان والمستجدين في هذا المضمار. فقد يؤدي عدم أخذ النفس بالمداراة والرفق وعدم تلبية القدر

المناسب من الحاجات البشرية بالطرق المشروعة بالشبان إلى مواجهة خطر جسيم لا يقدرون على تلافيه، فالتشدد غير المتزن والضغط على النفس دون تقدير قد يطلق عنانها فتنتزع هي زمام الإختيار من يد صاحبها حينما يتفجر مخزون الإحتياجات الطبيعية الغريزية المتراكمة المكبوتة، وتتصاعد ألسنة نار الشهوة المحبوسة تحت ضغط الرياضة غير المحسوبة، فتحرق مملكة وجود الإنسان.

ولو أن ذلك حدث - لا سمح الله - وانفلت من سالكٍ أو زاهدٍ عنان نفسه وفقد السيطرة عليها، فإنه سيسقط في الهاوية التي لا أمل أبداً من النجاة منها أو العودة عنها إلى طريق السعادة والصلاح.

فعلى السالك أن يكون مع نفسه كالطبيب الحاذق ويقيس نبضها في أيام السلوك ثم يتعامل معها وفق ما يقتضيه حالها في مختلف الأيام، فلا يكبت الحاجات الطبيعية كبتاً كاملاً في أيام تأجج الشهوة في ذروة الشباب وإنما يحاول إخماد نار الشهوة بالطرق المشروعة، ففي ذلك إعانة له في سلوكه طريق الحق.

وإجمالاً فإن الميزان في المراعاة هو أن يكون الإنسان ملتفتاً إلى أحوال النفس فيسلك بها بما يناسب قوتها وضعفها، فإذا كانت قوية في العبادات والرياضات قادرة على المقاومة، فعليه أن يجتهد ويجدّ في العبادة. فمن طوى أيام نشوة الشباب وهدأ فيه نار الشهوات إلى حد ما، حريٌ به أن يزيد الرياضات النفسانية قليلاً،

ويلج ميدان السلوك والإرتياض بجدية وإجتهاد وشجاعة، وهو كلما عوّد النفس على الرياضة، فتح لها بذلك باباً آخر حتى تسيطر النفس على قوى الطبيعة تدريجياً، فتسخّر القوى الطبيعية لكبرياء النفس[54].

التفهيم

التفهيم أحد الآداب القلبية للعبادات ـ لا سيما التي تتميز منها بالذكر ـ ويكون بأن يتصور الإنسان قلبه في بداية الأمر كطفل لم ينطلق لسانه بعد، وأن عليه أن يعلّمه النطق.

فيقوم بتعليم القلب كل ذكر من الأذكار وكل وردٍ من الأوراد وكل حقيقة من حقائق العبادة وكل سرّ من أسرارها بمنتهى الدقة. ويسعى في تفهيمه الحقيقة التي يدركها هو في كل مرتبة من مراتب الكمال التي يكون فيها. والنتيجة المتوخاة من هذا التفهيم، أن لسان القلب ستحل عقدته بعد مدة من المواظبة عليه ويصبح القلب ذاكراً ومتذكراً.

وبصورة عامة، في بداية الأمر يتوجب على الإنسان أن يهتم بأدب التفهيم لينفتح لسان القلب ـ وهو المراد الحقيقي ـ وعلامة إنفتاح لسان القلب زوال تعب الذكر ومشقته وحلول النشاط والسرور فيه محل النصب والأذى.

فالقلب ـ في بداية الأمر ـ طفل منعقد اللسان، يجب تعليمه وإلقاء الأذكار والأوراد في فمه، فإذا انطلق لسانه أصبح الإنسان

تابعاً له وزال تعب التعليم ومشقته وأذى الذكر ونصبه.

وهذا أحد الآداب الضرورية جداً للمبتدىء. ولا يخفى بعد هذا أن أحد الأهداف المنشودة من تكرار الأذكار والأدعية والمداومة على الذكر والعبادة هو تحقيق حالة إنطلاق لسان القلب وجعله ذاكراً وداعياً وعابداً. وما لم يراع أدب التفهيم هذا فإن لسان القلب لن ينطلق. وقد ورد عن أن أمير المؤمنين (ع) قال في معرض حديثه عن بعض آداب التلاوة: «**ولكن إقرعوا به قلوبكم القاسية ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة**»(55)(56).

حضور القلب

لا يخفى على أرباب البصيرة والمعرفة والمطلعين على أسرار أخبار أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) أن روح العبادة وتمامها وكمالها هي في حضور القلب وإقباله، إذ لا تقبل الحضرة الأحدية عبادة من دون ذلك، وما لم تشمل العبادة نظرة اللطف والرحمة فهي ساقطة عن درجة الإعتبار.

ومثلما أن كمال كل موجود ونقصه، ونورانيته وكدورته مرتبطة بصورته النوعية وكماله الأخير، وأن الميزان في كمال الإنسان ونقصه وسعادته وشقائه هو كمال نفسه الناطقة ونقصها. وهي النفخة الإلهية والروح المجردة الأمريّة ـ كذلك الحال مع مطلق العبادات ولا سيما الصلاة، وهي إحدى التركيبات القدسية التي أعدت وصفيت بيدي الجمال والجلال؛ فكمالها ونقصها

ونورانيتها وظلامها مرتبط بتلك الروح الغيبية والنفخة الإلهية التي تنبعث فيها بواسطة النفس الإنسانية الناطقة. وكلما كانت مرتبة الإخلاص وحضور القلب ـ وهما ركنا العبادات ـ أكمل، كانت الروح المنفوخة فيها أطهر، وكان كمال سعادتها أكثر، وكانت صورتها الملكوتية الغيبية أشد تنوراً وكمالاً[57].

فالأهم من كل ذلك والذي يجب أن نجعل الأمور الأخرى مقدمة له، هو حضور القلب الذي هو روح العبادة والذي ترتبط به حقيقة العبادة، ومن دونه لا يكون لها أهمية ولا تقع مقبولة في ساحة الحق المتعال كما ورد في الروايات الشريفة:

عن الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السلام) إنهما قالا:

«إنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه منها، فإن أهملها كلّها أو غفل عن آدابها لُفّت فضرب بها وجه صاحبها»[58].

وفي التهذيب بإسناده عن الثمالي قال: «رأيت علي بن الحسين (عليهما السلام) يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته».

قال: فسألته عن ذلك، فقال: **«ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إن العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل عليه منها»**.

فقلت: جعلت فداك هلكنا.

قال (ع): **«كلا، إن الله متمم ذلك للمؤمنين بالنوافل»**[59].

وبإسناده عن علي (ع) قال: **«لا يقومن أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يفكرن في نفسه فإنه بين يدي ربه عز**

وجل، وإنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»[60].

وعن الإمام الصادق (ع) قال: «**من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، إنصرف وليس بينه وبين الله ذنب إلا غفر له**»[61].

وعن رسول الله (ص) إنه قال: «**ركعتان خفيفتان في تفكر خير من قيام ليلة**»[62][63].

مراتب حضور القلب :

بعد أن علم أن حضور القلب في العبادات، جوهر العبادة وروحها، وأن نورانية العبادة مع مراتب كمالها، مرتبطتان بحضور القلب ومراتبه، لا بد من معرفة مراتب حضور القلب. فبعضها يختص بأولياء الحق سبحانه، وتكون أيدي الآخرين قاصرة عن الوصول إلى قمتها، وبعضها متيسر الحصول والتحقق لكافة الناس أيضاً.

الأول: حضور القلب في العبادة

والآخر: حضور القلب في المعبود.

أما حضور القلب في العبادة فله مراتب[64]:

المرتبة الأولى: لحضور القلب في باب العبادات هي حضور القلب فيها على نحو الإجمال، وهذه متيسرة للجميع. وكيفيتها هي أن يفهم الإنسان قلبه أنّ باب العبادات هو باب الثناء على المعبود، ويجعل القلب منذ بداية العبادة إلى نهايتها ملتفتاً بصورة إجمالية إلى أنه مشتغل بالثناء على المعبود حاضرٌ لذلك. وإن كان

هو نفسه لا يدري أي ثناء هذا، وبأي شيء يثني على الذات المقدسة؟!

فشأنه شأن شاعر ينشد قصيدة في مدح شخص ويُفهم طفلاً إنها في مدح فلان، ولكنه لا يعلم بماذا ومع ماذا مدح الممدوح؛ أي إنه يعرف إجمالاً أنه يمدح وإن كان لا يعلم تفصيل ذلك.

وهكذا هو حال أطفال «المدرسة الإبتدائية» للمعارف المحمدية، فهم ينشدون تلك المدائح وأشكال الثناء التي انكشفت للرسول الأكرم (ص) بالكشف الكامل التام له (ص) وأنزلت على قلبه الشريف بالوحي وبإفاضة من الله - جل جلاله - ويتلونها في الحضرة المقدسة وإن كانوا لا يعرفون أي ثناء يتلون! وبماذا ولمن يمدحون!

المرتبة الثانية: من حضور القلب، هي حضوره التفصيلي في العبادة، وكيفيتها هي أن يكون قلب العبد حاضراً في جميع (كامل) العبادة وهو يعرف بأي شيء يصف الله وكيف يناجي؛ ولها مقامات ومراتب متباينة كثيراً تناسباً مع تباين مقامات القلوب ومعارف العابدين.

وتجب معرفة أن الإحاطة التفصيلية بأسرار العبادات وكيفية المدح والثناء في كل منها لا يمكن تحققها إلا لكمل الأصفياء وعن طريق الإفاضة الإلهية والوحي. ونحن هنا نوضح **مراتبها العامة**:

فطائفة لا يعرفون من الصلاة وسائر العبادات سوى صورتها وقشرها، وهيئتها الملكية، ولكنهم يفهمون المفاهيم العرفية للأذكار

والأدعية والقراءة؛ وحضور القلب عندهم منحصر بحضور المفاهيم ـ حال الذكر والقراءة ـ في القلب.

وطائفة أخرى هم أولئك الذين يفهمون ـ بالقدم العقلي الفكري ـ حقائق العبادات والأذكار والقراءة، فهم يعرفون ـ مثلاً ـ بالبرهان العقلي كيفية رجوع جميع المحامد لله أو حقيقة الصراط المستقيم أو حقيقة معاني سورة التوحيد، بقدم الفكر والعقل. وحضور القلب عند هؤلاء في العبادة هو أن يكون حاضراً ـ بصورة تفصيلية ـ عند ذكر هذه الحقائق والمحامد، فيفهمون ماذا يقولون وكيف يثنون على الحق ويحمدونه.

والطائفة الأخرى هم أولئك الذين خطّوا بقلم العقل على لوح القلب، تلك الحقائق التي أدركوها بالقدم الفكري والعقلي فيتعرف القلب ـ أيضاً ـ إلى تلك الحقائق ويؤمن بها.

وتتمايز مرتبة الإيمان القلبي كثيراً عن الإدراك العقلي، فكثيرة هي الأمور التي يدركها الإنسان بالعقل، ويقيم عليها البرهان أيضاً، لكنها لا تصل إلى مرتبة الإيمان القلبي وكماله ـ وهو الإطمئنان ـ فلا يكون قلبه مواكباً لعقله.

وطائفة أخرى هم أولئك الذين وصلوا بالمجاهدات والرياضات إلى مرتبة الكشف والشهود، وأدركوا الحقائق بالعين الملكوتية والبصيرة الإلهية، مشاهدة حضورية وحضوراً عينياً. إضافة إلى أنهم أوصلوا هذه الحقائق إلى مرتبة القلب ووصلوا إلى مقام كمال الإطمئنان.

ويكون حضور القلب في العبادة ـ لدى هذه الطائفة من أهل الكشف والشهود ـ عبارة عن معاينة كل الحقائق التي تكون صورة العبادات كاشفة عنها، والأسرار التي تكون أوضاع العبادات وأقوالها مظاهر لها.

السالك الذي يصل إلى هذا المقام يدخل مقاماً آخر من مقامات حضور القلب وهو مقام «حضور القلب في المعبود»[65].

وأما حضور القلب في المعبود: فله مراتب أيضاً وعمدتها ثلاث مراتب:

اولها: حضور القلب في تجليات الأفعال.

ثانيها: حضور القلب في تجليات الأسماء والصفات.

وثالثها: حضور القلب في تجليات الذات[66].

كيفية تحصيل حضور القلب:

إعلم أنه لا يتم حضور القلب في العبادات، إلا بعد تفهيم القلب أهمية العبادات وهو لا يتيسر إلا عند إستيعاب أسرارها وحقائقها[67].

وتجدر معرفة أن منشأ حضور القلب في عمل من الأعمال وعلّة إقبال النفس عليه وتوجهها إليه هو أن يتلقى القلب ذلك العمل بالتعظيم ويراه من المهمات وبرغم وضوح هذا الأمر فإنه يزداد وضوحاً بذكر المثال التالي:

إذا سمح لك سلطان عظيم بالدخول إلى محفل أنسه أو مجلس سلامه وأجلّك واهتم بك وتلطّف عليك بحضور الجميع،

فإن قلبك يحضر في هذا المحضر بصورة كاملة ويسجّل بكامل الرغبة والتعلق وقائع المجلس كافة ومخاطبات السلطان وحركاته وسكناته ويكون قلبك حاضراً في هذا المحضر في الأحوال جميعاً ولا يغفل عنه لحظة، لأنه يعدّ هذا المقام عظيماً ومهماً فيعظم هذا المقام في قلبك.

ومن هنا يتضح سبب إنعدام حضورالقلب في العبادات لدينا وغفلتنا عنها، فلو كنا نعطي لمناجاة الله تعالى وهو وليّ نعمنا من الأهمية ما نعطي للتحدث مع مخلوق ضعيف، لما كنا نصاب بهذه الدرجة من الغفلة والسهو والنسيان!!

وواضح أن هذا التساهل والإستهانة هما من نتاج ضعف الإيمان بالله والرسول وأخبار أهل بيت العصمة، بل إنهما ناشئان من الإستهانة بمحضر الربوبية ومقام الله المقدس. وهو وليّ النعمة الذي تفضل بأن دعانا - على لسان الأنبياء والأولياء وبقرآنه المقدس - إلى مناجاته وحضوره. وفتح لنا أبواب محادثته ومناجاته، لكننا مع ذلك لا نلتزم أدب حضوره بمقدار أدب تحدثنا مع عبد ضعيف!!

ولو عرف الإنسان عواقب هذه الإستهانة ومعايبها، وأفهم قلبه أياها لعمد - بالطبع - للسعي إلى الإصلاح ومعالجة نفسه. وترك الأعمال الدينية يؤدي بالإنسان إلى ترك دينه.

كما أن الإنسان، لو أفهم قلبه أهمية العبادات والمناسك الإلهية لانصرف - بلا شك - عن هذه الغفلة والإستهانة ولاستيقظ من

هذه النومة العميقة.

أيها العزيز!! فكر قليلاً في حالاتك؛ وراجع أحاديث أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، وشمّر عن ساعد الهمة، وفهِّم النفس بالتفكر والتدبر أن هذه المناسك ولا سيما الصلاة - وبالأخص الواجب منها - هي سبب السعادة وزاد الحياة في عالم الآخرة، وهي ينبوع الكمالات كافة ورأس مال الحياة في تلك النشأة.

وإستناداً إلى الروايات الكثيرة في أبواب متفرقة وإلى نمط من البرهان ومشاهدات أصحاب الكشف والعيان، فإن لكل واحدة من العبادات المقبولة صوراً غيبية بهية وتمثلاً ملكوتيا تصاحب الإنسان في النشآت الغيبية وترافقه، وتعينه في جميع الشدائد، بل إن حقيقة «الجنة الجسمانية» هي الصور الغيبية الملكوتية للأعمال. وإن قضية تجسم الأعمال هي من الأمور التي يجب إعتبارها من الواضحات فالعقل والنقل متفقان عليها.

وهذه الصور الغيبية تابعة لحضور القلب وإقباله، فالعبادة التي لا تؤدّى بتوجه القلب وإقباله ساقطة عن درجة الإعتبار وغير مقبولة عند الله تعالى.

ونكتفي في هذا المقام بآية أو اثنتين، وبعض الأحاديث ففيها الكفاية للمطلع اليقظ، قال تعالى:

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[68].

وقال:

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[69].

فالذي لا خشوع في صلاته ليس من أهل الإيمان والفلاح، وهاتان الآيتان كافيتان لأهل التفكر والتدبر.

وويل لمن يقول الله تعالى عنه «ويل له» فالذي يحذِّر منه العظيم المطلق بهذه الشدة واضح ما يجلبه من مخاوف وظلمة ونقمة.

وعن النبي (ص) قال: «**أعبد الله كأنك تراه، وإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(70)(71).

إذا آمنت ـ عزيزي ـ بما ذكر، وهو مقالة الأنبياء (عليهم السلام)، وأعددت نفسك لبلوغ السعادة، ولسفر الآخرة، واعتقدت بضرورة حضور القلب ـ مفتاح كنز السعادة ـ فاعلم أن تحقيقه هو الآتي:

أولاً عليك إزالة الموانع الحائلة دون حضور القلب، ورفع الأشواك عن طريق سيرك في سلوكك.

ثم المبادرة بعد ذلك إلى الإقدام على تحصيل حضور القلب.

أما المانع من حضور القلب في العبادات فهو:

تشتت الخاطر وكثرة ما يرد على القلب، وهذا يكون تارة من الأمور الخارجية وعن طريق الحواس الظاهرة، كأن تسمع أذن الإنسان شيئاً وهو في العبادة فيتعلق الذهن به فيصبح مصدراً للتخيلات والأفكار في الداخل، وتتصرف فيه «الواهمة» فتطير به من غصن إلى غصن.

وتارة قد يكون تشتت الخاطر والمانع من حضور القلب ناشئاً من الأمور الداخلية. وهذا له ـ بصورة عامة ـ سببان رئيسان

اليهما تعزى أغلب الأمور الأخرى:

1. أحدهما تقلّب طائر الخيال وعبثيته وعدم إستقراره.

2. والسبب الآخر: هو حب الدنيا وتعلق الخاطر بالإعتبارات الدنيوية، وهو رأس الخطايا وأم الأمراض الباطنية. فهو شوك طريق أهل السلوك ومنشأ المصائب. وما دام القلب متعلقاً بالدنيا منغمساً في حبها فإن طريق إصلاح القلوب مسدود، وباب السعادات كافة مغلق أمام الإنسان[72].

كيف نزيل هذين المانعين؟

إعلم إن كل واحدة من قوى النفس الظاهرة والباطنة يمكن تربيتها وتعليمها وفق ترويض خاص.

ومن القوى التي يمكن تربيتها قوة الخيال وقوة الواهمة، القوتان اللتان تتصفان قبل تربيتهما بصفات طائر كثير الحركة والتنقل سريع الفرار.

والسبيل الوحيد لتطويعه (أي الخيال) هو العمل بخلاف عمله. وذلك بأن يعدّ الإنسان نفسه - حين الصلاة مثلاً - للإحتفاظ بالخيال في حدوده ويحبسه عملياً، فيرجعه بمجرد محاولته الفرار من قبضته، ويكون منتبهاً إليه في كل واحدةٍ من حركات الصلاة وأفعالها وأذكارها، يدقق في حاله ولا يتركه وشأنه.

وهذا الأمر يبدو في البداية صعباً، لكنه سيؤدي بعد مدة من الإصرار والدقة والمواظبة إلى تطويع طائر الخيال وترويضه.

وينبغي للإنسان أن لا ييأس أبداً، فاليأس منشأ جميع أنواع الوهن والعجز، في حين أن الأمل يوصل الإنسان إلى كمال سعادته.

وحب الدنيا منشأ لتشتت الخيال ومانع من حضور القلب (أيضاً). ولا علاج لهذا المرض المهلك والفساد المبين إلا بالعلم والعمل النافعين. أما العلم النافع في معالجة هذا المرض، فهو التفكر في ثمار نتائج حب الدنيا ومقارنته بالمضار والمهالك الناجمة عنه. عن الإمام الصادق (ع): «**رأس كل خطيئة حب الدنيا**»(73). وحسبُ الإنسان الواعي، التأمل في هذا الحديث الشريف وحده، والتفكر في هذه الخطيئة المهلكة التي تعد مصدر جميع الخطايا وأصل وأساس جميع المفاسد. إن جميع المفاسد الأخلاقية والسلوكية تقريباً، هي من ثمار هذه الشجرة الخبيثة.

فما من دين أو مذهب باطل ابتدع في هذا العالم، وما من فساد يقع في هذه الدنيا إلا نتيجة هذه الموبقة الخطيرة، فالقتل والنهب والظلم والإعتداء كلها نتائج لهذه الخطيئة، والفجور والفحشاء والسلب وسائر الموبقات وليدة جرثومة الفساد هذه.

والإنسان الأسير لهذا الحب محروم من جميع الفضائل المعنوية. فالشجاعة والعفة والسخاء والعدالة - والتي تعد منشأ جميع الفضائل النفسانية - لا تجتمع مع حب الدنيا. كذلك فإن المعارف الإلهية في التوحيد في الأسماء والصفات والأفعال والذات، والسعي في التوجه نحو الحق أو رؤية الحق كلها متضادة

مع حب الدنيا.

(أما) السبيل العملي (أي العمل النافع) في تحقيق ذلك؛ هو أن يتعامل الإنسان مع نفسه بالضد، فإذا كان محباً للمال والمنال، فعليه أن يقتلع جذور هذا الحب من خلال بسط اليد بالصدقات الواجبة والمستحبة. فإحدى فوائد الصدقات إنها تقلل الإرتباط بالدنيا وحبها. لذا يحث الإنسان على التصدق بما يحب ويعتز به، كما يشير إلى ذلك الحق تعالى بقوله:

﴿لن تنالوا البِّر حتى تنفقوا مما تحبون﴾(74)

وإذا كان محباً للسمعة والتقدم والرئاسة وتخطي الرقاب، فعليه أن يتصرف بما يناقض ذلك، ويمرّغ أنف نفسه الأمارة بالسوء في التراب، لكي يصلح حالها.

على الإنسان أن يدرك إنه كلما اشتد سعيه وراء الدنيا وزادت رغبته في تحصيلها إزداد حبه لها وتضاعف أسفه على فقدانها. والإنسان يسعى ـ مثلاً ـ للشيء الذي لا يملكه في الدنيا، متصوراً إنه يطلب ذلك الحدّ منها فقط، فيسعى نحوه ما دام محروماً منه، ويتحمل في سبيل ذلك المشاق، ويورد نفسه المهالك غير أنه ما إن يحصل على ذلك المقدار من الدنيا حتى يصبح بالنسبة له أمراً عادياً، فينصرف حبه ورغبته إلى شيء آخر يفوقه رتبة، فيلقي بنفسه من جديد في المشاق والتعب من أجله؛ وهكذا فإن عشقه للدنيا لا تخف حدته أبداً، بل يزداد تأججاً يوماً بعد آخر، وتتضاعف معه مشقته وتعبه. فليس لهذه النزعة الفطرية التي

جبل عليها الإنسان حدّ تتوقف عنده.

عن الإمام الباقر (ع) قال: «**مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما إزدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً**».

وعن الصادق (ع) قال: «**مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان إزداد عطشاً حتى يقتله**».

أنت يا طالب الحق، السالك إلى الله؛ إذا وفقت في ترويض طائر الخيال، وكبلت شيطان الواهمة، وخلعت نعلي حب الزوجة والبنين وسائر الأمور الدنيوية، وأنرت جذوةً من نار عشق الفطرة الإلهية، ونطقت بـ «**إني آنست ناراً**»[75] ورأيت أن ليس أمامك عقبات تمنعك من السير. ورأيت أنك قد أعددت وسائل السفر، فانهض من مكانك وهاجر بيت الطبيعة المظلم، والممر الدنيوي الضيق المعتم وتخلّص من أغلال الزمان وقيوده، وحرر نفسك من هذا السجن، وأطلق طائر القدس ليحلق إلى محفل الأنس.

"ينادونك من محفل العرش لا ندري

لماذا أنت قابع في هذه المصيدة"

فقوِّ عزمك إذن، وعزز إرادتك، فالعزم هو الشرط الأول للسلوك ودونه لا يمكن طي طريق ولا بلوغ كمال[76].



النية والإخلاص

حقيقة النية في العبادات

إعلم أن النية عبارة عن التصميم والعزم على الإتيان بأمر وإجماع النفس على فعله بعد تصوره والتصديق بفائدته والحكم بلزوم الإتيان به.

والنية حالة نفسانية وجدانية تظهر بعد تحقق الأمور المتقدمة، ويعبر عنها بالهمة والعزم والإرادة والقصد و... .

وهي موجودة في كافة الأفعال الإختيارية دون إستثناء.. وهي موجودة في كل عمل على الإطلاق.

فلا يمكن أن يؤدي الإنسان عملاً إختيارياً دون وجود نية يستند إليها. .. فلو أن شخصاً أراد الإتيان بأمر إختياري بلا نية لما استطاع ذلك وإن جند له كل قواه وصرف عمره بأجمعه

فيه[77].

آداب النية :

من الآداب الهامة للنية، بل من أهم آداب العبادات قاطبة: «أدب الإخلاص».

وحقيقته تنقية العمل من كل ما يشوبه مما هو لغير الله، وتصفية السر من رؤية غير الحق تعالى في جميع الأعمال الصورية واللبية، والظاهرية والباطنية. وكماله ترك الغير مطلقاً، ونكران الإنية والأنانية، والغير والغيرية تماماً. قال الله تعالى:

﴿ألا لله الدين الخالص﴾[78]

فقد إختار الله تعالى الدين الخالص لنفسه، وما ينطوي من الدين على سهم من النفسانية والشيطانية فلن يكون خالصاً لله، وهو ما لا يريده الحق تعالى. فما خالطته شائبة من الغيرية والنفسانية، خارج عن حدود الدين الحق.

قال تعالى:

﴿وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[79][80]

(إذاً) العامل المهم في إصابة الأعمال ـ لأهدافها ـ وكمالها، والذي يكون بمثابة القوة الفاعلة، هو النية الصادقة والإرادة الخالصة، حيث يكون كمال العبادات ونقصها وصحتها وفسادها كلياً تابعاً لها. وكلما كانت العبادات أصفى من الشرك وشوب النية، كلما كانت أكمل.

وليس في العبادات شيء ذو أهمية مثل النية وخلوصها، لأن نسبة النيات إلى الأعمال كنسبة الأرواح إلى الأبدان، والنفوس إلى الأجساد. ولا تقبل عبادة البتة عند الحق المتعال من دون نية خالصة[81].

وعندما تتساقط من العبد حظوظه بدءاً من التراب وإنتهاءاً بالعرش فقد سلك الدين. وهو طريق العبودية الخالصة من رؤية الحوادث - غير الله - نتيجة شهود الروح لجمال الرب المتعال.

وهذا هو الدين الذي اصطفاه الحق المتعال لنفسه، وأخلصه من غير الحق قائلاً: **﴿ألا لله الدين الخالص﴾**.

إن عبادة أرباب الإخلاص هي رسم تجليات المحبوب. ولا يوجد في قلوبهم سوى الحق المتعال الواحد[82]. والتعريف الجامع للشرك في العبادة، الشامل لكل مراتبه هو:

إدخال رضى غير الحق في العبادة.

سواء كان - رضى غير الحق - رضى نفسه أو غيره.

مثلاً من يؤدي صلاة الليل لسعة رزقه، أو أن يتصدق لدفع البلية، أو يقدم الزكاة لتنمية أمواله ويأتي بهذه العبادات من أجل الحق تعالى، ولكنه يسأل ربه أن يهب له تلك أيضاً إذا اشتملت هذه العبادات على أجزائها وشرائطها.

ولكنها لا تكون عبادة للحق المتعال وغير محتوية للنية الصادقة والإرادة الخالصة.

بل إنها عبادة لتعمير الدنيا ولنيل الرغبات النفسية الدنيوية،

فلا يكون عمله مصيباً.

كما أن العبادات إذا كانت نتيجة الخوف من نار جهنم، والشوق إلى الجنة، لما كانت خالصة للحق سبحانه. ولما ضمنت النية الصادقة، بل نستطيع أن نقول إن مثل هذه العبادات خالصة للشيطان والنفس، لأن الإنسان الذي يقوم بمثل هذه العبادات. لأهداف دنيوية أو فزعاً من جهنّم. لم يُدخل رضى الحق سبحانه في عبادته البتة، حتى يتحقق الإخلاص، وإنما عبد الصنم الكبير فقط (إن أم الأصنام هي صنم النفس). إن الله سبحانه يقبل أمثال هذه العبادات نتيجة عجزنا ونتيجة رحمته الواسعة.

هذا هو حال عبادة العبيد والأجراء. وأما عبادة الأحرار الذين يعبدون الله لحبهم الحق المتعال ولبحثهم عن الذات المقدسة، ولا يعبدونه من أجل الخوف من نار جهنّم أو الشوق إلى الجنة، فهذه العبادة أول مقام الأولياء والأحرار. ولهم مقامات ومعارج أخرى لا يمكن ذكرها.

فما دامت النفس لا تلتفت إلى العبادة والعابد والمعبود، لن يتحقق الخلوص. يجب أن يخلو القلب من الغير ولا ينفذ فيه أحد غير الحق حتى يكون خالصاً.

كما ورد في الحديث الشريف:

«قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿**إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾.

قال (ص): «**القلب السليم يلقى ربه ليس فيه أحد سواه**».

وقال (ص): **«وكل قلب فيه شرك فهو ساقط، وإنما أراد الزهد في الدنيا لتفرَغ قلوبهم للآخرة»**[83][84].

أيها المسكين الغافل عن المعارف الإلهية، يا من لا تفهم سوى إرادة شهوتك وغضبك، أنت المتوسل بالأذكار والأوراد والمستحبات والواجبات، والتارك للمكروهات والمحرمات. والمتخلق بالأخلاق الحسنة، والمتجنب لسيئات الأخلاق، ضع أعمالك أمام عين الإنصاف، أتقوم بها لأجل الوصول إلى الشهوات النفسانية والجلوس على سرر مطعمة بالزبرجد، ومعانقة الضحوكات والدعوبات في الجنة، وإرتداء الحرير والإستبرق، والسكن في القصور الفارهة الجميلة والوصول إلى الأماني النفسية؟ أفينبغي أن تمنّ بهذه الأعمال وهي جميعاً لأجل النفس ومن أجل عبادتها على الله وتعدها عبادة الله؟

هل يختلف حالكم عن ذلك الأجير الذي ينجز عملاً من أجل الأجر، ثم يقول: إنني أنجزت ذلك العمل لأجل صاحب العمل فحسب؟ أفلا تكذبونه؟ ألستم كاذبين حينما تقولون: إننا نصلي تقرباً إلى الله تعالى؟ ألأجل التقرب إلى الله هذه الصلاة أو لأجل التقرب لنساء الجنة وإتباع الشهوة؟ أقولها بصراحة إن جميع عباداتنا هذه لهي من كبائر الذنوب عند العرفاء بالله وأولياء الله[85].

الإخلاص طريق الأولياء:

لا بد من معرفة أن تخليص النية من جميع مراتب الشرك والرياء وغيرها ومراقبتها والمحافظة عليها من الأمور الصعبة والمهمة جداً. بل إن بعض مراتبها لا يتيسر إلا للخلّص من أولياء الله تعالى. لأن النية عبارة عن الإرادة الباعثة على العمل، وهي تتبع الغايات الأخيرة الدافعة إلى العمل، كما أن هذه الغايات تتبع الملكات النفسانية التي تشكل باطن ذات الإنسان وشاكلته.

فمن فيه حب الجاه والرياسة، وغدا هذا الحب ملكة نفسانية وشاكلة روحه، كان منتهى أمله البلوغ إلى سدة الزعامة، وكانت أفعاله الصادرة منه تابعة لتلك الغاية، وكان دافعه ومحركه هو مبتغاه النفسي المذكور، وصدرت عنه أعماله للوصول إلى ذلك المطلوب. فما دام هذا الحب في قلبه، لا يمكن أن يصير عمله خالصاً.

ومن صار حب النفس والأنانية ملكة له وشاكلة نفسه كانت غاية مقصده ونهاية مطلوبه الوصول إلى ما يلائم نفسه وكان الدافع والمحرك له في هذه الأعمال، نفس هذه الغاية، سواء كانت الأعمال للوصول إلى مطلوب دنيوي أو أخروي من قبيل الحور والقصور والجنات ونعم ذلك العالم.

بل ما دامت الأنانية والذاتية موجودة، كان إقدامه أو سلوكه لتحصيل المعارف ـ الربوبية ـ والكمالات الروحية، لنفسه ونفسانيته من حب النفس لا من حب الله. ومن المعلوم إنهما لا يجتمعان بل

إذا أحب الله كان من أجل نفسه وليس من أجل الله وكان غاية المقصود ونهاية المطلوب نفسه ونفسانيته.

فاتضح أن تخليص النية من مطلق الشرك، عمل صعب جداً، ولا يقدر عليه كل أحد. وإن كمال الأعمال ونقصها تابع لكمال النية ونقصها، لأن النية هي الصورة الفعلية، والناحية الملكوتية للعمل.

وفي الحديث الشريف تلميح إلى هذا الموضوع، عندما يقول:

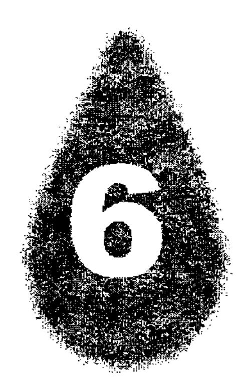
«والنية افضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل»...

ومن هنا يتبين بأن طريق تخليص الأعمال من جميع مراتب الشرك والرياء وغيرها ينحصر في إصلاح النفس وملكاتها، ويكون ذلك معيناً لكل الإصلاحات، ومصدراً لجميع المعارج والكمالات.

فإذا أخرج الإنسان حب الدنيا عبر الترويض العلمي أو العملي من قلبه، كانت غايته المنشودة شيئاً آخر غير الدنيا، وخلصت أعماله من الشرك الأعظم الذي هو جلب أنظار أهل الدنيا وكسب الموقع لديهم، وطهرت نيته، وتساوى عنده العمل في الخلوة والجلوة، في السر والعلن. وإذا أخرج الإنسان من قلبه حب النفس بالرياضة النفسية، فبالمقدار الذي يفرغ القلب من حب النفس، يمتلأ حباً لله، وتخلص أعماله من الشرك الخفي أيضاً. وما دام حب النفس في القلب، وما دام الإنسان يعيش في البيت المظلم للنفس، لا يكون مسافراً إلى الله تعالى، بل يعدّ من المُخْلِدين إلى

الأرض.

فـإن الخطوة الأولى نحـو الله تتـمـثل في ترك حب النفس، والوطء بقدمه على الأنانية والذاتية. وهذا هو المقياس في السفر إلى الله.. قال بعض أن هذا هو أحد معاني الآية الكريمة: **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾**[86] أي من يخرج من بيت نفسه ويهاجر إلى الحق في الرحلة المعنوية ثم يدركه الفناء التام كان أجره على الله تعالى. ومن المعلوم أن مثل هذا المسافر لا يستحق أجراً ومكافأة إلا مشاهدة الذات المقدسة والوصول إلى الفناء في حضرته تعالى[87].



آداب الطهارة وأسرارها

الطهارة متوقفة على إزالة الموانع

ذكرنا سابقاً إن للصلاة حقيقة تنطوي خلف صورتها المتعارفة، وباطناً غير هذا الظاهر، وكما أن هناك آداباً وشروطاً ينبغي مراعاتها لتتكامل الصلاة في شكلها، فإن لباطنها أيضاً آداباً وشروطاً يجب على السالك مراعاتها.

لذا، فإن للطهارة شكلاً وآدابا شكلية قد بينها فقهاء المذهب الجعفري (أعلى الله كلمتهم ورفع درجتهم) وآداباً أخرى للطهور الباطني.

إعلم أنه ما دامت حقيقة الصلاة هي العروج إلى مقام القرب وبلوغ مقام الحضور بين يدي الحق جلّ وعلا، فإن تحقيق هذا الهدف الأكبر والغاية القصوى يستلزم طهارة أسمى من هذه

الطهارة الشكلية.

فأشواك هذا الطريق والموانع في هذا العروج، قذارات لا يستطيع السالك - إن لم يسع في إزالتها - الصعود بهذه المرقاة والعروج بهذا المعراج، فعلى السالك أن يزيل الموانع والقذارات أولاً، لكي يتيسر له الإتصاف بالطهارة وتحصيل الطهور(88).

مراتب الطهارة

أول درجة من القذارات، هي القذرات التي تلوث أدوات النفس وقواها الظاهرية(89) بلوث الذنوب وأقذار المعاصي.

ولا يظن السالك أن بإمكانه الفوز بمقام حقيقة الإنسانية أو تطهير باطن القلب دون تطهير ظاهر المملكة الإنسانية.

إذاً إحدى العقبات الكبرى في هذا السلوك، هي القذارات والمعاصي التي يجب التطهر منها بماء التوبة النصوح.

والسالك إلى الله إذا تمكن - وبعد التمسك بأذيال لطف ولي الله - من حفظ مملكة الظاهر طاهرة وبعيدة عن سلطة الشيطان، وردّ الأمانات الإلهية على الحالة التي إستلمها دون نقص ولم يخن الأمانة، شمله بذلك الغفران والستر، وأطمأن باله إلى سلامة الظاهر، فيعمد بعد ذلك إلى القيام بإزالة الأرجاس والأخلاق الفاسدة من الباطن، وهذه هي الدرجة الثانية من القذارات التي يكون فسادها أشد وعلاجها أصعب. لأن الخلق الباطني للنفس ما دام فاسداً. فإنها لن تكون أهلاً لمقام القدس وخلوة الأنس، وما لم

يبدل السالك تلك الملكات[90] السيئة بالملكات الحسنة فلن يأمن من شرور الأعمال.

ويجب على السالك أن يبادر، بعد تطهير صفحة النفس من الأخلاق الفاسدة بماء العلم النافع والإرتياض الشرعي الصالح، (أن يبادر) إلى تطهير القلب «أم القرى» الذي تصلح بصلاحه الممالك كافة وتفسد جميعها بفساده. فقذارات عالم القلب هي المنشأ لجميع القذارات، كالتعلق بغير الحق والتوجه إلى النفس والدنيا مما يعد نتائج لحب الدنيا هو رأس كل خطيئة، وحب النفس الذي هو أم الأمراض كلها.

فما دامت جذور هذين الحبين متغلغلة في قلب السالك، فلن يحصل فيه أثر لمحبة الله. كما أن وجود بقايا من هذين الحبين في قلب السالك يجعل من سير السالك سيراً إلى النفس وإلى الدنيا وإلى الشيطان، وليس سيراً إلى الله. إذاً فالتطهر من حب الدنيا والنفس هو في الحقيقة أول مراتب تطهير السلوك إلى الله. وقبل هذا التطهير لا يعد السلوك سلوكاً إلى الله، وإطلاق صفة السالك والسلوك إنما يتم تسامحاً.

إذاً، فأول مرتبة في الطهارة، هي الإلتزام بالسنن الإلهية وإطاعة أوامر الحق تعالى.

وثاني مرتبة هي التحلي بفضائل الأخلاق والملكات. وثالث مرتبة هي الطهور القلبي، وهو عبارة عن تسليم القلب للحق تعالى، ليصبح بعد هذا التسليم نورانياً.. وهكذا حتى يصبح هذا

القلب إلهياً لاهوتياً[91].

آداب التوجه نحو الماء

قال الصادق (ع): «**إذا أردت الطهارة والوضوء، فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله، فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربه ومناجاته ودليلاً إلى بساط خدمته**».

وكما أن رحمة الله تُطهر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير.

قال الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾.

﴿فكما أحيى به كل شيء من نعيم الدنيا، كذلك برحمته وفضله، جعل حياة القلوب الطاعات﴾»[92].

في الحديث الشريف إشارات ودقائق وحقائق تحيي قلوب أهل المعرفة وتفيض الحياة على الأرواح الصافية لأصحاب القلوب. وأحد أسرار تشبيه الماء في الحديث برحمة الحق تعالى هو كون الماء من المظاهر الكبرى لرحمته. فقد أنزله في عالم الطبيعة وجعله أصل حياة الموجودات، بل إن أهل المعرفة يعبّرون بالماء عن الرحمة الإلهية الواسعة النازلة من سماء رفيع الدرجات...

ولما كان تجلي الرحمة الإلهية الواسعة في ماء عالم الملك

الظاهري هذا أشد من تجليها في سائر الموجودات الدنيوية، جعل الحق تعالى الماء للتطهير من القذارات الصورية، بل إن ماء رحمة الحق حيثما ينزل ويظهر وفي أية نشأة من نشآت الوجود وفي كل مشهد من مشاهد الغيب والشهادة، يقوم بتطهير ذنوب عباد الله بما ينسجم وتلك النشأة، وما يناسب ذلك العالم.

بعد ذلك يعطي الحديث الشريف أمراً آخر ويفتح طريقاً أخرى لأهل السلوك والمراقبة فيضيف (ع):

«وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهره وبركته ولطيف إمتزاجه بكل شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها (وتعبَّدك بأدائها) وايتِ بآدابها في فرائضه، وسننه، فإن تحت كل واحد منها فوائد كثيرة، فإذا استعملتها بالحرمة، انفجرت للأعين فوائده عن قريب» يشير الحديث إلى أن على أهل المراقبة والسلوك إلى الله. أن يفكروا في تصفية الأعضاء من خلال التفكر في صفاء الماء وذلك بأداء الفرائض والسنن الإلهية.

فإن الأعضاء ما إن تجعل ملتزمة بالسنن والفرائض الإلهية وآدابها، حتى تأخذ الآثار الباطنية بالظهور تدريجياً وتتفجر ينابيع الأسرار الإلهية وتتكشف للإنسان لمحة من أسرار العبادة والطهارة ثم ينتقل الإمام (ع) فيقول:

«ثم عاشر خلق الله كإمتزاج الماء بالأشياء، يؤدي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه، معتبراً لقول رسول الله (ص): مثل المؤمن المخلص كمثل الماء..

.. ولتكن صفوتك مع الله تعالى، في جميع طاعتك، كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهوراً..

.. وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء»(93)(94).

فعلى السالك إلى الله إذن، أن يدرك أن التطهير بماء الرحمة، هو شكل من أشكال الإستفادة من الرحمة الإلهية النازلة. وما دام ميسوراً له الإستفادة من الرحمة، فعليه أن يتطهر بها، أما إذا قصرت يده عن ذلك، وتعذر عليه الحصول على ماء الرحمة، بسبب قصوره أو تقصيره الذاتي، فما له من حيلة سوى الإستغراق مع ذله ومسكنته وفقره وفاقته، فإذا تجلت له ذلة عبوديته، وأدرك إضطراره وفقره وحقيقة إمكانه الذاتي، وتنزل عن تكبره وغروره وأنانيته، إنفتح له باب من الرحمة.

وكلما ترسخ هذا المعنى لدى الإنسان، أي إذا قوي إدراكه لذلته، صار معرضاً لاشتماله بالرحمة أكثر. أما إذا أراد أن يطوي هذا الطريق متكلاً على نفسه وعمله، فإنه هالك لا محالة(95).

نفحة من آداب الوضوء الباطنية

ورد عن الرضا (ع): «**إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار وعند مناجاته إياه مطيعاً له فيما أمره، نقياً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار. وإنما وجب على الوجه**

واليدين والرأس والرجلين لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار، فإنما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد»[96].

وإلى هنا، وضّح (عليه السلام) الجنبة الهامة في الوضوء، ونبه أهل المعرفة وأصحاب السلوك إلى أن هناك آداباً يجب رعايتها عند القيام في المحضر المقدس للحق تعالى، وفي مناجاة قاضي الحاجات فلا ينبغي الحضور في هذا المحضر حتى مع وجود الأدران الصورية والأوساخ الظاهرية، ونعاس العين الظاهرية فما بالك إذا كان القلب مليئاً بالأدران ملبداً بالرذائل المعنوية التي تمثل أساس الأدران كافة. فضلاً عن ما ورد في الحديث الشريف: **«إن الله سبحانه لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم»**[97].

... إن التطهر الظاهري والوضوء الصُوري هو من العبادات ومن أشكال طاعة الرب لذا صار تطهير الظاهر سبباً في تطهير الباطن، وصارت تزكية الفؤاد تتحقق من خلال التطهير الظاهري. ومؤدى الكلام: أن تطهير هذه الأعضاء، إنما وجب لما لها من دخالة في ممارسة العبودية للحق تعالى، ولما يظهر من هذه العبودية عليها.

ثم بيّن ما يظهر من تلك الأعضاء، وفتح السبيل أمام أهل العبرة للإعتبار والإستفادة، وعرّف أهل المعارف أسرار ذلك، فأوضح أن ما يكون فيه ظهور العبودية في المحضر المبارك للحق

تعـالى، يجب أن يكون طاهراً نقـيـاً، وأن الأعـضـاء والجـوارح الظاهرية ـ والتي لها الحظ الأدنى من تلك المعاني ـ لا تليق بهذا المقام ما دامت دون طهارة، رغم أن الخضوع في الحقيقة ليس من صفات الوجه، والسؤال والرغبة والرهبة والتبتل والإستقبال ليست من شؤون الأعضاء الحسية، إلا أن تطهير تلك الأعضاء أصبح واجباً لأنها تمثل مظاهر تلك المعاني.

وبذا فتطهير القلب يكون من باب الأولى، لأنه موضع العبودية الحقيقي والمركز الواقعي لتلك المعاني، ودون تطهيره فإن الأعضاء الصورية لن تطهر حتى لو غسلت بماء الأبحر السبعة ولن تصبح لائقة لذلك المقام(98).



لباس المصلي



تأثير اللباس على نفوسنا

لما كانت قلوبنا ـ نحن التعساء ـ ضعيفة خائرة، تهتز كأوراق الصفصاف لأرقّ نسيم يهب وتفقد استقرارها، وجب علينا مراعاة حال القلب والمحافظة عليه حتى في الأمور العادية، كإرتداء الملبس.

إن هناك تأثيراً متبادلاً بين الظاهر والباطن، وعليه ينبغي للإنسان الطالب للحق الساعي للإرتقاء المعنوي أن يجتنب ـ عند اختياره مادة اللباس وشكله ـ ما يؤثر سلباً في الروح، ويخرج القلب عن استقامته، ويورث الغفلة عن الحق تعالى، ويجعل توجهات الروح دنيوية.

ولا يظنن أحد أن تسويل الشيطان وتدليس النفس الأمارة

بالسوء ينحصر في حالة إرتداء الفاخر والجميل من الثياب وفي التجمل والتزين، بل لعل الإنسان يسقط أحياناً بسبب ثياب رثة عديمة القيمة.

من هنا، وجب الإحتراز من لباس الشهرة، بل من عموم السلوك المخالف للعرف والمتعارف، وإجتناب ارتداء الألبسة الفاخرة المصنوعة من أقمشة باهظة القيمة، مما يجذب الأنظار ويميز صاحبه عن الأخرين، فقلوبنا غاية في الضعف والتأرجح، وهي تهتز وتنحرف عن جادة الإعتدال لأدنى إمتياز أو موقعية.

فما أكثر ما ينظر إنسان ناقص ضعيف نظرة إحتقار وتكبر وتعالٍ واستهانة لعباد الله - رغم أنه يفتقر شخصياً إلى أدنى مراتب السمو الإنساني وعزة النفس وكمال الآدمية - وذلك لمجرد إرتدائه قطعتين أو ثلاث من حرير أو صوف ليس له فيها سوى تقليد الأجانب في الطرز والإعداد. ولعله قد حصل عليها بعد مختلف الممارسات المهينة وبعد مقايضتها بعزته وكرامته.

وإنه لمن أشد حالات ضعف النفس وضيق الأفق وضعة الهمة، أن يتوهم الإنسان أن فضلات الديدان ولباس الخراف تصبح سبباً لزيادة اعتباره وعلو مقامه!

فكم أنت مخلوق ضعيف تافه أيها الأنسانِ!

فأنت ينبغي أن تكون فخر عالم الوجود وعصارة الكون والمكان، وأنت ابن آدم، وينبغي أن تكون معلماً للأسماء والصفات، وأنت ابن خليفة الله وعليك أن تكون من الآيات الباهرات

«فهم يدعونك إلى محفل العرش»(99).

ورد في الحديث عن الصادق (ع): إن الله تبارك وتعالى أوحى لأحد أنبيائه:

« .. قل للمؤمنين: لا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تأكلوا كأعدائي، ولا تمشوا كأعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»(100).

سرّ طهارة اللباس

إن الصلاة هي مقام العروج إلى مقام القرب، والحضور في محضر الأنس، لذا فإن على السالك مراعاة آداب الحضور في محضر ملك الملوك المقدس. وبالتأمل البسيط يتجلى أن في أدب الحضور مخاطر جمة لا ينبغي للسالك الغفلة عنها ولو للحظة واحدة، فعليه أساساً أن يجعل من طهارة اللباس وسيلة لطهارة أردية الباطن.

وليعلم أنه ومثلما يشكل هذا اللباس المتعارف ستراً للبدن الملكي(101) فإن البدن بدوره يشكل ستراً للبدن البرزخي، الموجود فعلاً، والمستور بالبدن الدنيوي وحجابه. ثم ومثلما أن هذا البدن ساتراً لذاك البدن البرزخي فإن الأخير ساتر للنفس وهو يشكل لباسها وحجاباً لها.

ثم إن النفس بدورها ستر للقلب، والقلب ستر للروح وهلم جرا وصولاً إلى العديد من المراتب الأخرى. فكل مرتبة أدنى هي سترٌ

للمرتبة الأسمى.

إعلم إذن أنه ومثلما أن الصلاة الصورية لا تتحقق دون طهارة اللباس والبدن، ومثلما أن القذارات تعد من موانع الورود في المحضر المقدس، ومثلما أن المصلي مقصي عن محضر القدس ممنوع من الدخول إلى مقام الأنس، إن كان لباسه وبدنه ملوثين برجز الشيطان، كذلك فإن قذارات الذنوب والمعاصي تعد من موانع الدخول إلى المحضر المقدس.

فالمتلبس بالمعاصي يكون قد نجس ستر البدن البرزخي، لذا فلن يمكنه الورود في محضر الحق بهذه القذارة، ودون تطهير هذا اللباس، الأمر الذي يعد من شروط تحقق الصلاة الباطنية وصحتها.

غير أن الإنسان جاهل بهذا البدن الغيبي وطهارة ارديته ونوع قذاراته وشرطية طهارته ومانعية تلك القذارات عن الورود في المحضر المقدس، ما دام في حجاب الدنيا. أما إذا تحققت طهارة اللباس الباطني، وجب حينها تطهير البدن الملكوتي نفسه من رجز الشيطان، وذلك بتطهيره من أرجاس الأخلاق الذميمة التي يكفي كل واحد منها لوحده لتلويث الباطن وإبعاد الإنسان عن محضر الحق واقصائه عن بساط القرب. وهي تعود في الأصل إلى العجب وحب النفس والفخر والتكبر والإستبداد بالرأي والتي يمثل كل واحدٍ منها مصدراً للكثير من الأخلاق الذميمة والكثير من الخطايا.

أما إذا فرغ السالك من هذا التطهير، وطهَّر لباس التقوى بماء التوبة النصوح والرياضة الشرعية، لزمه بعد ذلك الإشتغال بتطهير القلب، فلا يمكن تحقيق سائر الطهارات ما لم يتم تطهيره.

ولتطهير القلب مراتب نشير إلى بعضها ها هنا:

فإحداها: تطهيره من حب الدنيا - رأس كل خطيئة ومنشأ المفاسد كافة - الذي يحول دون الورود إلى محضر الحق المقدس، ودون تحقق المحبة الإلهية.

وهذه المرتبة من التطهير لا تتحقق إلا بالعلم النافع والرياضات القلبية الحازمة، وصرف الإهتمام نحو التفكر في المبدأ والمعاد، وإشتغال القلب بالإعتبار من زوال الدنيا وخرابها، والكرامات في العوالم الغيبية وسعادتها.

والمرتبة الأخرى: تطهير القلب من الإطمئنان إلى الخلق والوثوق بما لديهم وهو الشرك الخفي، بل إنه عند أهل المعرفة الشرك الجلي.

ويتحقق هذا التطهير بالتوحيد الفعلي للحق جلّ وعلا. ولا يخفى هنا أن مجرد العلم الإستدلالي، والمنحى التفكري لا يحققان النتيجة المرجوة فيما يتعلق بالتوحيد الفعلي.. بلى إن البرهان يثبت لنا أن «لا مؤثر في الوجود إلا الله» وهو أحد معاني «لا إله إلا الله».. ولكن ما لم يصل هذا الأمر البرهاني إلى القلب، ويصبح صورة باطنية للقلب فهذا معناه أننا لم نبارح حد العلم إلى

حد الإيمان بعد، ولم ننتفع بنور الإيمان الذي ينبغي له أن ينور مملكة الباطن والظاهر(102).

لباس التقوى أفضل الألبسة

قال الصادق (ع) في مصباح الشريعة: «**أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان**»، قال الله عز وجل: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾(103).

«وأما اللباس الظاهر، فنعمة من الله يستر عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها عباده. ذرية آدم (عليه السلام) لم يكرم بها غيرهم، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم.

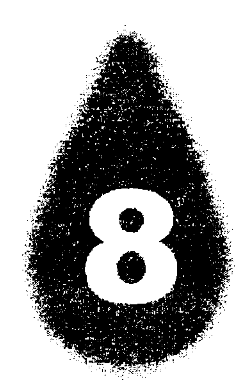
وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عز وجل، بل يقربك من شكره وذكره وطاعته، ولا يحملك إلى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء، فإنها من آفات الدين، ومورثة لقسوة القلب.

فإذا لبست ثوبك، فاذكر ستر الله. تعالى. عليك ذنوبك برحمته، وألبس باطنك بالصدق، كما ألبستَ ظاهرك بثوبك. وليكن باطنك في ستر الرهبة، وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله. عز وجل. حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء.

ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره واحذر أن تفني

عمرك لعملِ غيرك، ويتّجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل، وأصغر أسباب العقوبة في الآجل.

وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله تعالى. ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله، فهو بمعزل عن الآفات خائض في بحر رحمة الله. عز وجل. يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان، وما دام ناسياً لذنوبه جاهلاً لعيوبه، راجعاً إلى حوله وقوته لا يُفلح إذاً ابداً»(104).



أوقات العبادة والصلاة

المصلون وإهتمامهم بأوقات العبادة

إعلم أن أهل المعرفة وأصحاب الرياضات يلتزمون المراقبة والمواظبة تجاه أوقات الصلوات. ميقات المناجاة وميعاد لقاء الحق. بقدر قوة معرفتهم بمقام الربوبية المقدس واشتياقهم إلى مناجاة حضرة الباري عزّ اسمه.

فمنهم تلك الطائفة من المجذوبين لجمال الجميل والعشاق الهائمين بالحسن الأزلي السكارى بكأس المحبة، المذهولين عن كلا العالمين بقدح «**الست**»(105) الغاضين لأبصارهم عن أقاليم الوجود، المتعلقين بعز قدس جمال الله. فهم في حالة الحضور الدائم، لا يفارقون الذكر والتفكر والمشاهدة والمراقبة لحظة واحدة.

ومنهم تلك الطائفة من الفضلاء من أصحاب المعارف وأرباب

الفضائل وذوي النفوس السامية الطيبة الذين لا يفضلون على مناجاة الحق شيئاً آخر، ولا يطلبون إلا ذات الحق تعالى.. ويعتقدون بأن العز والشرف والفضيلة والمعرفة جميعها إنما تكمن في ذكر الحق ومناجاته. وهؤلاء يجتهدون في المواظبة على حفظ أوقات الصلوات ما وسعهم الجهد، وينتظرون بفارغ الصبر حلول وقت مناجاة الحق، فهم قد هيأوا أنفسهم وأعدوها لميقات الحق، قلوبهم حاضرة، وهم يسعون لقرب الحاضر في المحضر، ويبجلون المحضر لأجل الحاضر. ويرون أن العبودية إنما تكون في الموادة والمعاشرة مع الكامل المطلق، واشتياقهم للعبادة إنما يستند إلى كل هذا.

ومنهم أولئك المؤمنون بالغيب وعالم الآخرة الهائمون بكرامات حضرة الحق جل جلاله، فهم لا يستبدلون نعم الجنة الأبدية ولذائذها ومباهجها الدائمة السرمدية، بالحطام الدنيوي المندثر، واللذائذ المشوبة الناقصة الزائلة.

وهم أيضاً ذوو قلوب محضرة عند حلول وقت العبادات، فهم يرون أنها بذور النعم الأخروية، ولما كانوا لا يفضلون على النعم السرمدية شيئاً آخر فهم يبادرون إلى القيام برغبة واشتياق وينتظرون بلهفة وترقب حلول أوقات الصلوات، التي يرون فيها مواسم قطف الثمار، وتحميل المتاع قبل السفر.

وهؤلاء أيضاً ـ ولأن قلوبهم مدركة لما في عالم الغيب، مؤمنة موقنة بالنعم الأبدية واللذات الدائمة في عالم الآخرة ـ لا يضيعون

أوقاتهم، ويبادرون للعمل قبل الفوت:

﴿**أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾[106].

الآداب القلبية للوقت

إيها العزيز، إغتنم أنت أيضاً وقت المناجاة هذا بقدر ما يتيسر لك، وبقدر ما تقدر، وتحلّى بآدابه القلبية وأفهم قلبك أن أساس الحياة الأخروية الأبدية والمنبع اللامتناهي للفضائل النفسانية والكرامات، إنما هو في المراودة والمؤانسة مع الحق، وفي مناجاته، خصوصاً في الصلاة العمل الأجمع والأكمل بين جميع العبادات، والعقارالروحي المعدّ بيدي جمال الحق وجلاله.

فاحفظ إذن ما استطعت مواقيتها، واختر من بين أوقاتها وقت فضيلتها، ففيه نورانية لا توجد في الأوقات الأخرى، وقلل بل إقطع دابر اشتغالاتك القلبية في ذلك الوقت.

واعلم أن ذلك لن يتحقق لك إلا بتقسيم أوقاتك وتنظيمها، وتخصيص وقت خاص منها للصلاة لا يزاحمها فيه عمل آخر من أعمالك، ولا يتعلق فيه قلبك بشيء آخر، كما يجب عليك أن لا تحشر الصلاة في وقت تشترك فيه مع شؤون أخرى لكي تتمكن من إراحة قلبك وإحضاره فيها، فالصلاة هي الكفيلة بإصلاح شؤون حياتك الأبدية.

ولنستعرض ها هنا طائفة من الأحاديث بشأن أحوال المعصومين (عليهم السلام) فلعل التدبر في أحوال هؤلاء العظام

يؤدي إلى اليقظة والإنتباه وعسى أن يدرك القلب خطورة الموقف وأهمية المقام وعظمته فيفيق من نومة الغفلة:

عن بعض نساء رسول الله (ص) قالت:

«كان رسول الله (ص) يُحدثَنا، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كل شيء»(107).

وروي أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان إذا حضر وقت الصلاة، يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: **«جاء وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها»**(108).

نقل السيد ابن طاووس في كتاب فلاح السائل، أن الإمام الحسين (ع) كان إذا توضأ يتغير لونه وتضطرب مفاصله، فقيل له في ذلك فقال:

«حقّ لمن يقف بين يدي ذي العرش أن يصفرّ لونه وتضطرب مفاصله»(109).

وروي أن الإمام السجاد (ع) كان إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه، فيقال له: «ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟».

فيقول: «**ما تدرون بين يدي من اقوم؟**»(110)

وإجمالاً فاعلم أيها الضعيف، بأن الآداب القلبية للوقت تتلخص في حقيقة أنك تستعد للورود إلى محضر مالك الدنيا والآخرة، وتتهيأ لمخاطبة حضرة الحق جل وعلا والحديث معه. فإذا ما قارنت بين ضعفك ومسكنتك وذلتك وعجزك من جهة،

وعظمة الذات المقدسة للحق جلت عظمته وجلاله وكبرياؤه التي يُصعق الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون في محفل عظمتها، ويعترفون بالعجز والذلة والمسكنة من جهة أخرى، وجعلت القلب يدرك ذلك الفرق، لاستشعر قلبك الخوف وتصاغرت أمامك نفسك وعباداتك.

ثم إنك إذا تأملت في سعة رحمة الذات المقدسة وكمال رأفتها وشمول رحمانيتها، بسماحها لعبد ضعيف بالدخول إلى محضرها المقدس رغم كل تعاسته وما يحمل من الأدران، ودعوتها إياه إلى مجلس أنسها بأشكال المراسم والممارسات المعبّرة عن الحفاوة والتكريم لتلك الدعوة ولذلك المحضر، بدءاً من إهباط الملائكة وإنزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، ودون أية سابقة أو أهلية لهذا «الممكن» التعيس، ودون أن يكون هناك - نعوذ بالله - أي نفع متحصل من تلك الدعوة أو ذلك الحضور في محضره جلّ وعلا، سواء لحضرته المقدسة أو لملائكته أو أنبيائه (عليهم السلام). فلا شك أن هذا التأمل سيبعث حالة من الأنس في القلب فيستشعر الرجاء والأمل.

إذن فلتهيء نفسك للحضور، منطلقاً نحو ذلك الهدف بخطى الخوف والرجاء والرغبة والرهبة.

وأعدّ عدتك لذلك الحضور. وأهم ذلك: دخول المحضر بالقلب الخجل والفؤاد الوجل واستشعار الذلة والضعف والإنكسار وإنقطاع الحيلة، وإياك أن ترى نفسك لأئقاً بحضور المحضر - بأي

وجه كان. أو أن تحسب نفسك لائقاً للعبادة والعبودية.

واعلم أن الإذن لك بالعبادة والعبودية، إنما هو فقط بفضل شمول رحمة الحضرة الأحدية، وعموم لطف الحق جلت قدرته.

وإعلم أنك إذا وضعت ذلتك نصب عينيك، وبالغت في التواضع لذات الحق المقدسة، وأدركت أنك وعبوديتك لست شيئاً يذكر، وبلا أية قيمة، فإن الحق تعالى سيتلطف بك ويرفعك ويلقي عليك من خلع كراماته(111).



إستقبال القبلة للصلاة

سرّ إستقبال القبلة

إعلم أيها السالك إلى الله، أنك إذا صرفت وجه ظاهرك عن الجهات المشتتة لعالم الطبيعة ووجهته نحو نقطة واحدة، فقد أعلنت بذلك عن حالتين من الفطرة الإلهية.

الأولى: فطرة النفور من النقص والناقص.

والثانية: عشق الكمال والكامل.

وكلتاهما من حالات الفطرة التي جبل عليها أفراد الأسرة البشرية قاطبة، بلا إستثناء.. وإن كانوا هم أنفسهم محجوبين عنها مختلفين في تشخيص الكمال والنقص والكامل والناقص.

فإن طالب الدنيا، الساعي للجاه والمال، إنما يعشق المال والجاه لأنه يرى الكمال فيهما. وهكذا حال صاحب كل مقصد، فهو يرى

الكمال في مقصده، ويعتبر الكامل من بلغ هذا المقصد، فيعشقه وينفر من غيره.

ودور الأنبياء (عليهم السلام) والعلماء بالله وأصحاب المعرفة، إنما هو إخراج الناس من الإحتجاب وتخليص نور فطرتهم من ظلمات الجهل وتعريفهم بالكامل والكمال.

فإذا تم ذلك، فإن التوجه نحو الكمال وترك غيره لن يحتاج إلى دعوة أو تشجيع، فنور الفطرة الموجودة في أفراد البشر قاطبة، يعدّ بحد ذاته أكبر الأدلاء الإلهيين(112).

إستقبال القبلة يحيي الفطرة الإنسانية

في الصلاة يُعَدُ إستقبال القبلة والتوجه نحو النقطة المركزية والتخلي والإعراض عن الجهات المتفرقة؛ إيقاظاً للفطرة، وإنطلاقاً لنورها من قيد الإحتجابات.

وهذا الأمر يصدق على الكُمّل وأصحاب المعرفة. أما بالنسبة لنانحن أصحاب الحجب. فإننا نحتاج إلى التحلي بآداب الإستقبال لتحقيق التوجه نحو القبلة الحقيقية وذلك بإفهام القلب، أن ليس في جميع دار التحقق من كمال ولا كامل سوى الذات المقدسة للكمال المطلق.

فالذات المقدسة فقط هي الكمال الذي لا نقص فيه والجمال الذي لا يشوبه عيب والفعلية التي لا تشوبها قوة، والخيرية التي لا تخالطها شريَّة، والنور الذي لا تعتريه ظلمة.

وإن كل ما يوجد في دار التحقق[113] بأسرها من كمال وجمال وخير وعزة وعظمة ونورية وفعلية وسعادة إنما هو من نور جمال تلك الذات المقدسة.

ورد في الحديث أن رسول الله (ص) لماسمع قول لبيد:

«الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل قال (ص): «اصدق شعر قاله شاعر قول لبيد: الا كل..»[114]

فإذا علمت بطلان دار التحقق وكمال الذات المقدسة، فلن تحتاج إلى التأمل والتكلف في توجيه القلب نحو القبلة الحقيقية، ونحو عشق جمال الجميل المطلق والنفرة من جميع دار التحقق عدا مظهر تجلي الذات المقدسة.

فإن فطرة الله نفسها تدفع الإنسان إلى ذلك بصورة فطرية وسوف يصبح لسان ذات الإنسان وقلبه وحاله:

﴿وجهت وجهي للذي فطرالسموات والأرض﴾[115]

كما يصبح **﴿لا أحب الآفلين﴾**[116] لسان الإنسان الفطري.

فيا أيها المحتاج، إعلم أن العالم زائل ومندثر، وفانٍ وباطل، كله في ذلك سواء، وليس لأي من الموجودات من نفسه شيء وليس في ذاته جمال ولا بهاء ولا نور ولا سناء، فالجمال والبهاء منحصر في ذات الحق...

إذن فاصرف القلب عن الجهات المشتتة والنواقص ووجهه شطر مركز الجمال والكمال، وليَكن ما يقوله العارف الشيرازي لسان فطرتك في ضميرك الصافي:

ضميرنا لا يتسع لأحد غير الحبيب
فاعطِ كلا العالمين للعدو، إذ يكفينا نحن الحبيب[117][118].

آداب إستقبال القبلة

عن الإمام الصادق (ع) قال: «**إذا إستقبلت القبلة، فآيس من الدنيا وما فيها واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرّك عظمة الله تعالى، واذكر وقوفك بين يديه يوم «تبلو كل نفس ما اسلفت وردُّوا إلى الله مولاهم الحق» وقِفْ على قدم الخوف والرجاء**».

في الحديث الشريف منهج عمل لأمثالنا نحن المحجوبين، ممن لا نستطيع حفظ حالاتنا القلبية والجمع بين الوحدة والكثرة وبين التوجه إلى الحق والتوجه إلى الخلق.

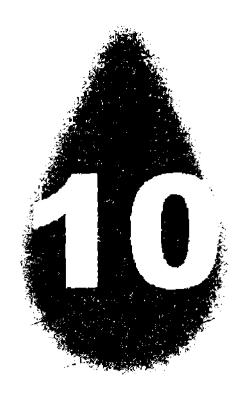
إذن علينا اليأس من الدنيا عند التوجه للحق وإستقبال القبلة، وإقتلاع جذور الطمع في الخلق من أنفسنا وإستئصال المشاغل القلبية والشواغل الروحية من أعماق الروح والقلب لنكون بذلك أهلاً للحضور في الحضرة، ولكي تتجلى في سرّ أرواحنا إحدى تجليات العظمة.

فإذا حصلنا على نور العظمة ـ بما يتناسب مع إستعدادنا. فعلينا أن نتذكر رجوعنا إلى الحق ووقوفنا في محضره المقدس في اليوم الذي تظهر فيه مع كل إنسان أعماله: **﴿وردّوا إلى الله مولاهم الحق﴾**[119] ويشطب فيه بخط البطلان على كل معبود

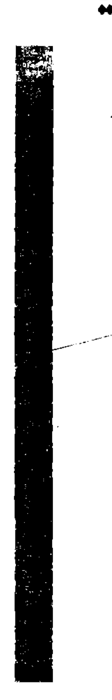
باطل وعلى جميع الأهواء النفسانية.

فإذا تذكرنا هذا، فلا شك أننا سنتردد بين الخوف والرجاء عندما نتقدم للوقوف في محضر مثل هذا العظيم الذي لا يعدو دار التحقق بأسره أن يكون تجلياً من تجلياته الفعلية.

إننا إذا رأينا ضعفنا ووهننا وإنقطاع حيلتنا وذلتنا، وعظمة الذات المقدسة وعزتها وجلالها وكبرياءها، فلا شك أن نكون عندئذٍ في خوف وخشية من خطر قادم. أما إذا أدركنا رحمة الذات المقدسة ورأفتها وألطافها غير المتناهية وكراماتها غير المحدودة، فلا بد أن يبعث ذلك الرجاء فينا[120].



الأذان والإقامة وتكبيرة الإحرام في الصلاة



سرّ الأذان والإقامة

إعلم أن على الســالك إلى الله أن يطلق عند الأذان في قلبه - وهو سلطان القوى الملكوتية والملكية. وكذلك بين سائر الجنود المبثوثة في شتى أرجاء الملك والملكوت، نداء الحضور إلى المحضر، فعليه أن يهيئها، مادام وقت الحضور واللقاء قد إقترب.

إذن فالسر الإجمالي للأذان يكمن في إنه إطلاق النداء للقوى الملكوتية والملكية والجيوش الإلهية لكي تبادر إلى الحضور. أما أدبه الإجمالي فهو التنبه إلى عظمة المقام وخطره وعظمة المحضر والحاضر، وإلى ذلك الممكن الوجود (أي الإنسان) وفقره وفاقته ونقصه وعجزه عن القيام بالأمر وعدم أهليته للحضور في المحضر ما لم يعنه الحق جلّ وعلا بلطفه ورحمته وجبران نقصه.

أما الإقامة، فهي إقامة القوى الملكوتية في المحضر وإحضارها في ذلك الحضور.

وأدبها الخوف والخشية والحياء والخجل والرجاء الواثق بالرحمة اللامتناهية. فالسالك مطالب في جميع فصول الأذان والإقامة، بإفهام القلب بعظمة المحضر والحضور والحاضر، وإستحضار ذله وعجزه وقصوره من جانب، وذلك لكي يحصل لديه الخوف والخشية. وأن يتصوّر بقلبه الرحمة الواسعة والألطاف الكريمة من جانب آخر، لينبعث فيه الرجاء والشوق(121).

الحذر من اليأس والقنوت!

إذن فالآداب التي ينبغي لنا أن نتحلى بها في الحضور هي على نحو آخر، كذلك فإن قيامنا بالواجبات القلبية يكون بصورة أخرى وأهم ما ينبغي لنا إخراجه من قلوبنا هو اليأس من روح الله والقنوط من رحمته، فذلك من جنود إبليس وإلقاءات شياطين الإنس والجن.

كذلك فإن علينا أن لا نتوهم أن هذه المقامات قد فصّلت على أشخاص بعينهم، وأن لا أمل لنا بها، وأن قدم السير البشري لا تقوى على السير في تلك السُبل، فنحجم بسبب هذا الوهم عن التحرك نحوها ونظل على حالٍ من الجمود والوهن متثاقلين إلى أرض الطبيعة.

فالأمر ليس على هذا النحو، وإن كنت لا أنكر أن المقام الذي يخصّ كُمّل أهل الله لا يتيسر لأحد بلوغه، غير أن المقامات المعنوية والمعارف الإلهية على مدارج ومراتب لا حصر لها، ويمكن للبشر بلوغ الكثيرمنها شريطة أن يغادرهم الجمود والتراخي، ويزول عن قلوبهم عناد أهل الجهل والتعصب والإصرار على الخطأ، وأن لا يصبح ذلك شيطاناً في طريق سلوكهم.

إذن فأدب الحضور المطلوب منا التحلي به هو إعتبار محضر الحق إبتداءً كمحضر سلطان عظيم، مما يدرك القلب عظمته. .. علينا أن نفهم قلوبنا بأن العالم هو محضر الحق المقدس، فالحق تعالى حاضر في كل مكان وحيز، سيما في الصلاة التي تعد بمنزلة الإذن الخاص بالحضور والموعد المخصوص للملاقاة والمراودة للحضرة الأحدية.

ثم إذا استشعر القلب هذه العظمة والحضور ـ وإن كان ذلك في البداية تكلُفاً ـ فإنه سيأنس بالصلاة تدريجياً. .. إن الإنسان إذا قام بأداء الأوامر وجاهد في سبيل الله، فإن الحق تعالى سيأخذ بيده ويعينه ويخرجه من ظلمات عالم الطبيعة بسبب غيبي، وينير أرض قلبه المظلمة بنور جماله ويبدلها إلى سماوات روحية: **﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾**(122)(123).

أسرار تكبيرات الأذان والإقامة

التكبيرات الأربع من الأمور الشاملة في السلوك، والآداب المحيطة بالثناء والعبادات، والتي يجب على السالك أن يستحضرها في جميع أحوال الصلاة، ولهذا ترى إنها تتكرر في الأذان والإقامة وفي الصلاة خلال الإنتقال من وضع إلى آخر من أوضاعها لكي يستمكن الشعور بالقصور الذاتي (للإنسان) وبعظمة الذات المقدسة وكبريائها في قلب السالك.

ومن هنا، أيضاً يتضح أدب التكبيرات، فالسالك مطالب أن يُذكّر قلبه وقواه المختلفة في كل تكبيرة بعجزه من جهة وبكبرياء الحق من جهة ثانية.

ويمكن من ناحية أخرى إعتبار أن كل واحدة من التكبيرات الأولية الأربع إشارة إلى واحد من المقامات.

فالأولى: إشارة إلى أنه أكبر من التوصيف ذاتاً.

والثانية: إشارة إلى أنه أكبر من التوصيف صفةً.

والثالثة: إشارة إلى أنه أكبر من التوصيف إسماً.

والرابعة: إشارة إلى أنه أكبر من التوصيف فعلاً.

فكأن السالك يقول:

إن الله أكبر من أن توصف ذاته أو تجلياته الذاتية، وأكبر من أن توصف صفاته وأسماؤه وأفعاله والتجليات المرتبطة بهذه التوصيفات الثلاث.

قال أمير المؤمنين (ع) في حديث طويل: «... **والوجه الآخر:**

«الله أكبر» في نفي كيفيته كأنه يقول: الله أجلّ من أن يُدرك الواصفون قدر صفته، الذي هو موصوف به، وإنما يصفه الواصفون صفةً على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى الله عن أن يدرك الواصفون صفته علواً كبيراً..»[124][125].

سرّ رفع اليدين عند تكبيرة الإِحرام

إن رفع اليدين لدى التكبير في الصلاة، يعد زينة الصلاة، كما أن صلاة جبرائيل (عليه السلام)، وملائكة السماوات السبع، تكون على هذا الفرار، كما ورد عن... علي بن أبي طالب (ع) أنه قال: **«لما نزلت على النبي (ص) ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال يا جبرائيل ما هذه النحيرة التي أمر بها ربي؟**

قال: يا محمد إنها ليست بنحيرة، ولكنه يأمر إذا أحرَمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع، وإنّ لكل شيء زينة وإنّ زينة الصلاة رفع الأيدي عند كل تكبيرة»[126].

ونقل عن الإمام الرضا (ع) قال: **«إنما ترفع اليدان بالتكبير لأن رفع اليدين ضربٌ من الإبتهال والتبتل والتضرع فأحبّ الله عز وجل أن يكون العبد في وقت ذكره له متبتلاً متضرعاً مبتهلاً، ولأن في رفع اليدين إحضار النية وإقبال القلب»**[127].

وهذا الكلام يتطابق مع ما يقول بعض أهل المعرفة في فلسفة

رفع اليدين لدى التكبير، من إلقاء غير الله وراء ظهره، وإقتلاع أشواك طريق الوصول إلى الحبيب، وجعل نفسه منقطعة عن الغير وخالصة مخلصة له (من دون أدنى توجه إلى الغير والغيرية الذي يعد في مذهب العشاق والمحبين شركاً بالله سبحانه)، ثم يبدأ معراجه الحقيقي الروحاني، والسفر إلى بالله. وهذا السفر والمعراج لا يمكن أن يتحقق من دون رفض الغير والغيرية وترك الذات والأنانية. كما أن مع التكبيرات السبعة الإفتتاحية تُخرق الحجب السبعة الملكية والملكوتية نهائياً.

ففي كل تكبيرة من التكبيرات السبعة من صلاة الأولياء خرق لحجاب، ورفض لعوالم ذلك الحجاب وللقاطنين فيها. فالسالك إلى الله، والمسافر إلى ساحة الحبيب، والمجذوب لطريق الوصول إلى المعشوق، يخرق الحجب واحداً بعد الآخر، حتى ينتهي إلى التكبير الأخير، فيخرق به الحجاب السابع، ويرفض الغير والغيرية ويقول: **﴿وجهت وجهي للذي فطرالسماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين﴾**(128).

كما قال النبي إبراهيم خليل الرحمن. ثم تنفتح عليه الأبواب، وتتكشف له سبحات الجلال، فيستعيذ من الشيطان الرجيم، ويبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم.

عن أبي الحسن (ع) أنه روى: «**ان النبي (ص) لما أسري به إلى السماء قطع سبع حجب فكبر عند كل حجاب تكبيرة، فأوصله الله عز وجل بذلك إلى منتهى الكرامة**»(129).

وعن أبي الحسن موسى (ع)... قال: «**قلت له لأي علة صار التكبير في الإفتتاح سبع تكبيرات أفضل... قال: يا هشام أن الله خلق السموات سبعاً، والأرضين سبعاً والحجب سبعاً، فلما أسري بالنبي (ص) فكان من ربه كقاب قوسين او أدنى، رفع له حجاب من حجبه فكبّر رسول الله (ص) فلما رفع له الثاني كبّر فلم يزل كذلك حتى بلغ سبع حجب فكبر سبع تكبيرات، فلتلك العلة يُكبَّر للإفتتاح في الصلاة سبع تكبيرات**»(130).

وهذا الحديث ينسجم مع الذوق والمشرب العرفاني.. لأن مع رفع كل يد لدى التكبير خرق لحجاب، وإزاحة لستار، وظهور نور من أنوار الكرامة، وحيث أن هذا النور قيد من الحجب النورانية، فمع رفع اليدين يحطم هذا القيد ويزيح الحجاب. وهكذا حتى تتجلى الذات ويتم الوصول إلى منتهى الكرامة، الذي هو غاية آمال الأولياء(131).



آداب القيام والقراءة

سرّ القيام وآدابه

إعلم أن أهل المعرفة يعدّون القيام إشارة إلى توحيد الأفعال، والركوع إشارة إلى توحيد الصفات، والسجود إشارة إلى توحيد الذات، وسيأتي توضيح ما يتعلق بالركوع والسجود في محله.. والأدب العرفاني للسالك في هذا المقام يتمثل في السعي لجعل القلب ذاكراً لهذه اللطيفة الإلهية وترك التعينات النفسية قدر المستطاع..

فإذا تمكنت هذه الحقيقة من قلب السالك، أصبحت قراءته بلسان الحق وصار الذاكر والمذكور هو الحق نفسه، وانكشف لقلب العارف بعض أسرار القدر.

(و) تتلخص آداب القيام في ضرورة أن يعتقد السالك أنه

حاضر في محضر الحق، وأن العالم هو محضر الربوبية، وأن يعتبر نفسه من الحاضرين في مجلس الله والمقيمين بين يديه، ويجعل قلبه يستوعب عظمة الحاضر والمحضر، ويفهمه أهمية مناجاة الحق تعالى وحساسيتها، كما عليه أن يسعى في إحضار القلب قبل الدخول في الصلاة - من خلال التفكر والتدبر - وإفهامه خطورة المقام، وتقييده بالخضوع والخشوع والطمأنينة والخشية والخوف والرجاء والذل والمسكنة إلى آخر الصلاة، والاشتراط عليه أن يلتزم المراقبة والمحافظة على هذه الأمور.

كما أن السالك مطالب بالتفكر والتأمل في أحوال أعلام الدين وهداة السبيل، وفي الحالات التي تعتريهم في الصلاة وكيفية تعاملهم مع مالك الملوك، فيتخذ من أحوال أئمة الهدى (عليهم السلام) قدوة له ويسعى للتأسي بهم (عليهم السلام)(132).

آداب القراءة في الصلاة

إعلم أن لقراءة القرآن في هذا السفر الروحاني والمعراج الإلهي العديد من المراتب والمدارج يتوزع الناس على أساسها إلى طوائف مختلفة نكتفي بذكر ما يناسب هذه الرسالة، منها:

■ الطائفة الأولى:

والتي يكون القارىء فيها ساعياً لتجويد القراءة وتحسين مخارج الكلمات لا غير، فهمّه منحصر فقط في التلفظ بهذه

الكلمات ومهمة إخراج الحروف، لكي يتم أداء التكليف وإسقاط الواجب. ولا يخفى مدى ما يقترن مع التكاليف من مشقة وتكلف عند أمثال هؤلاء، وما سيكتنف قلوبهم من ضجر وبواطنهم من نفرة من تلك التكاليف. ولا شك أن هؤلاء لا حظ لهم من العبادة سوى سقوط العقاب المقرر لتاركها عنهم، إلا إذا شملهم فضل من خزائن الغيب وصاروا موضعاً للإحسان والإنعام على مجرد لقلقة ألسنتهم تلك.

وقد يحدث لأفراد هذه الطائفة أحياناً أن تكون ألسنتهم لاهجة بذكر الحق تعالى في حين تكون قلوبهم ساهية غافلة خالية من ذلك الذكر الذي يلهجون به، بل متعلقة بالكثرات الدنيوية والمشاغل الملكية، والحقيقة أنهم مشغولون بالصلاة ظاهرياً، منشغلون بالدنيا ومآربها وشهواتها باطنياً.

■ **الطائفة الثانية:**

هم أولئك الذين لم يقنعوا بذلك الحد، بل تخطوا ذلك وبلغوا مرتبة معرفة أن الصلاة وسيلة لتذكر الحق، وأن القراءة حمد للحق وثناء عليه.

وأفراد هذه الطائفة على مراتب كثيرة يطول ذكرها، ولعلّ أهمها ما يشير إليه الحديث القدسي الشريف الآتي:

عن أمير المؤمنين (ع): «**قال رسول الله (ص): قال الله عز وجل: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن**

الرحيم» قال الله عز وجل: بدأ عبدي باسمي، وحقّ عليّ أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله.

فإذا قال: «الحمد لله رب العالمين» قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي، وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دفعت عنه بتطوّلي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

فإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله عز وجل: شهد لي بأني الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرّن من رحمتي حظّه، ولأجزلن من عطائي نصيبه.

فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله جلّ جلاله: أشهدكم كما اعترف عبدي أنّي مالك يوم الدين، لأسهّلنّ يوم الحساب حسابه ولأتقبلن حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيئاته.

فإذا قال: «إياك نعبد» قال الله عز وجل: صدق عبدي إياي يعبد، أشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي.

فإذا قال: «وإياك نستعين» قال الله عز وجل: بي استعان وإليّ التجأ، أشهدكم لأعيننّه على أموره ولأغيثنه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه.

فإذا قال: «إهدنا الصراط المستقيم» إلى آخر السورة، قال الله عز وجل: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، فقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل، وآمنته عمّا منه وجل»[133][134].

آداب العبودية في القراءة

ولما تبين أن الصلاة ـ بناءً على الحديث المتقدم ـ تقسّم بين الحق والعبد، لزم العبد أن يسعى في أداء حقّ المولى، ما دام له تعالى حق، وأن يحرص على التحلي بأدب العبودية المشار إليه في الحديث الشريف، لكي يعامله الحق تعالى بلطائف الربوبية، إستناداً إلى قوله تعالى: ﴿**وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم**﴾[135].

عموماً فإن الحديث القدسي يشير إلى قيام أدب العبودية في القراءة على أربعة أركان:

الركن الأول: الذكر: والذي يلزم أن يكون حصوله في ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾.

فعلى السالك أن ينظر إلى جميع دار التحقق، كإسم فانٍ في المسمى، ويعوّد القلب على البحث عن الحق والسعي إليه في جميع ذرات الممكنات..

وهذا المقام يتحقق من خلال الخلوة بالحق وكثرة الذكر وشدة التفكر في الشؤون الإلهية، حتى يبلغ الأمر أن يصبح القلب حقانياً (إلهياً)، فيخلو تماماً من غير ما كان للحق تعالى.

إن من يعوّد نفسه قراءة الآيات والأسماء الإلهية من كتاب التكوين والتدوين الإلهي، لا بد أن يتخذ قلبه تدريجياً صورة الذكر والآية التي تكررت عليه ولا بد أن يتحقق باطن ذاته بذكر الله واسمه وآيته تعالى.

قال تعالى: ﴿**فاذكروني اذكركم**﴾[136].

وقال تعالى مخاطباً موسى (ع): «**انا جليس من ذكرني**»[137].

وروي عن رسول الله (ص): «**من اكثر ذكرالله أحبه الله**»[138].

الركن الثاني: الحمد: وهو حاصل من قول المصلي «الحمد لله رب العالمين»

فلتعلم أن المصلي إذا تحقق بمقام «الذكر» وأيقن أن جميع ذرات الكائنات والموجودات العليا والدنيا هي أسماء إلهية، وأخرج من قلبه أي إعتقاد بوجود الموجودات على نحو الإستقلال، ورمق موجودات عوالم الغيب والشهادة بأسرها بنظرة الإستظلال، تحققت له عندئذٍ مرتبة «الحمد» وأقرّ قلبه بإختصاص جميع المحامد بالذات الأحدية، وبعدم مشاركة سائر الموجودات لها في ذلك.

فلما كانت تلك الموجودات تفتقر ذاتها إلى الكمال لزم أن لا تختص بأي حمدٍ أو ثناء.

الركن الثالث: التعظيم، وهو الحاصل في «الرحمن الرحيم» فإذا حصر العبد السالك إلى الله المحامد ـ بالحق تعالى، ونزع عن الكثرات الوجودية أي كمال أو حمدٍ، إقترب حينئذٍ إلى أفق الوحدة، وعميت عينه الناظرة إلى الكثرة تدريجياً، وتجلت على قلبه صورة الرحمانية التي تمثل بسط الوجود، والرحيمية التي تمثل بسط كمال الوجود... وحلّت فيه بعد ذلك عظمة الحق، ثم حصل التمكين لهذه الحالة.

الركن الرابع: وهو مقام «التقديس»، الذي يمثل حقيقة التمجيد، أو تفويض الأمر إلى الله بعبارة أخرى، وذلك برؤية مقام مالكية الحق وقاهريته، وزوال غبار الكثرة وتحطم أوثان كعبة القلب وظهور مالك بيت القلب وسيطرته عليه دون مزاحم شيطاني.

ويكون السالك في هذه الحالة قد بلغ مقام الخلوة، فلا يكون عندئذٍ أي حجاب بين الحق والعبد وتقع «**إياك نعبد وإياك نستعين**»، في تلك الخلوة الخاصة وفي مجمع الأنس، لذا يقول تعالى في الحديث القدسي المار ذكره: «**هذا بيني وبين عبدي**».

ثم إذا شملت الألطاف السالك، وجعلته يفيق، طلب الإستقامة في هذا المقام وسأل حضرة الحق التمكين وذلك بقوله: «**إهدنا الصراط المستقيم**»، لهذا فسّرت «إهدنا» بـ «ألزمنا وأدمنا وثبتنا».

ولا شك أن كل هذا إنما يقع لأولئك الذين خرجوا من الحجاب ووصلوا المطلوب الأزلي، أما أمثالنا نحن من أهل الحجب، فإن علينا أن نطلب الهداية من الحق تعالى»[139].

آثار الأنس بذكر الحق

على هذا الأساس، يتضح أن في كل حالٍ من أحوال الصلاة وأفعالها، حقاً للحق تعالى، على العبد أن يؤديه، وهو آداب العبودية في ذلك المنزل، كما أن للعبد حظاً ونصيباً فيه يمنّ الحق تعالى بأدائه إلى العبد بخفيّ لطفه وجليّ رحمته إذا ما تحلى

العبد بأدب العبودية.

فإذا رأى العبد نفسه محروماً من الألطاف الإلهية الخاصة - في هذه المواقيت الإلهية - فليعلم إنه لم يتحلّ بآداب العبودية. وعلامة ذلك للمتوسطين هي عدم تذوق القلب لذة المناجاة وحلاوة العبادات وحرمانهم من بهجة وسرور الإنقطاع الى الحق. ولا شك ان العبادة اذا خَلَتْ من اللذة والحلاوة، أضحت بلا روح، وفقد القلب الإنتفاع منها.

إذن، فلتجعل قلبك - يا عزيزي - مستأنساً بآداب العبودية، ولتذق الروح حلاوة ذكر الله، ولتسع منذ البداية لتحقيق هذه اللطيفة الإلهية بوسيلة كثرة التذكر والأنس بذكر الحق، شريطة أن لا يكون القلب ميتاً عند الذكر، وأن لا تكون الغفلة مستحوذة عليه.

فإنك إذا وفقت لجعل القلب مستأنساً بالذكر، شملتك الألطاف الأزلية تدريجياً، وفتحت على قلبك أبواب الملكوت، وعلامة ذلك:

«التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل حلول الفوت»(140).

اللهم لا تحرمنا لذة مناجاتك وحلاوة مخاطبتك.. واجعلنا من الذاكرين والمنقطعين إلى عزّ قدسك... وأحي قلوبنا الميتة بالحياة الخالدة، واجعلنا منقطعين عما سواك متوجهين إليك، إنك ولي الفضل والإنعام(141).

الإستعاذة من آداب القراءة

قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾[142].

من آداب القراءة الهامة ـ لا سيما القراءة في الصلاة التي تمثل السفر المعنوي إلى الله والمعراج الحقيقي ومرقاة وصول أهل الله ـ أدب الإستعاذة من الشيطان الرجيم، شوكة طريق المعرفة وعقبة السير والسلوك إلى الله، بإعترافه هو على ما يخبر به تعالى في سورة الأعراف إذ يقول:

﴿فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾

فلقد أقسم الشيطان على القعود لذرية آدم على الصراط المستقيم ليصدهم عنه، ولذا لا يمكن تحقيق الأمان من شر قاطع الطريق هذا في الصلاة دون الإستعاذة بالله واللجوء إلى حصن الألوهية الحصين.

وهذه الإستعاذة وهذا التحصّن لا يتحققان ـ كما هو واضح ـ بمجرد لقلقة اللسان وبالصورة المجردة من الروح وبالدنيا دون الآخرة، فهناك من راحوا يرددون الإستعاذة بالله أربعين أو خمسين عاماً دون أن يحققوا لأنفسهم النجاة من شر قاطع الطريق هذا بل على العكس، أصبحوا تابعين له في الأخلاق والأعمال، بل في العقائد القلبية.

فلو كنا صادقين في طلب الإستعاذة بالله من شرّ هذا الخبيث لكان الحق تعالى. وهو تقدست ذاته الفياض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط والكرم الشامل. قد أعاذنا، ولصلح إيماننا وسمت أخلاقنا وأعمالنا.

إذن ينبغي لنا الإلتفات إلى أن أي تخلف يصيبنا في هذا السير الملكوتي والسلوك الإلهي إنما هو نتيجة إغواء الشيطان، والوقوع تحت السلطة الشيطانية، بسبب قصورنا وتقصيرنا في إقامة الآداب المعنوية والشروط القلبية لهذا السير الملكوتي. وهي العلة الخفية نفسها في عدم حصولنا على النتائج المعنوية والآثار الظاهرية والباطنية لسائر الأذكار والأوراد والعبادات(143).

التسبيحات الأربع

الركن الأول : التسبيح، وهو التنزيه لله عن التوصيف، وذلك بالتحميد، والتهليل، وهو من المقامات الشاملة التي يجب على العبد السالك الإلتفات إليها في جميع عباداته.

الركن الثاني: التحميد، وهو مقام التوحيد الأفعالي الذي يناسب حالة القيام والقراءة أيضاً.

الركن الثالث: التهليل، وله مقامات منها: مقام نفي الألوهية الأفعالية، وهو التعبير الآخر لـ «لا مؤثر في الوجود إلا الله». لأن مراتب الوجودات الإمكانية هي ظل حقيقة وجود الحق جلت قدرته والربط المحض، ليس لأيٍّ منها أي شكل من الإستقلال

والقيام بذاتها.

ومنها: مقام نفي كل معبود غير الحق. فـ «لا إله إلا الله» تعني لا معبود سوى الحق المقدسة.

الركن الرابع: وهو تكبير الله أيضاً عن التوصيف.

وعلى العبد السالك أن يسعى ـ في هذه الأذكار الشريفة وهي روح المعارف ـ إلى تحصيل حالة التبتّل والتضرّع والإنقطاع والتذلل في قلبه، وجعل باطن القلب تجسيداً للذكر، وذلك من خلال كثرة المداومة، فيجعل حقيقة الذكر ـ من خلال ذلك ـ متمكنة من باطن القلب لكي يتلبس الأخير بلباس الذكر، ويخلع لباسه وهو لباس البعد. وعندها يصبح القلب إلهياً حقانياً وتتحقق فيه حقيقة وروح **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾**(144)(145).



آداب الركوع والسجود

التكبير قبل الركوع

الظاهر أن التكبير قبل الركوع من متعلقات الركوع، ويهدف الى تهيئة المصلي لمنزل الركوع، وأدبه يكمن في مراعاة العبد مقام عظمة الحق وجلاله وعزة الربوبية وسلطنتها، واستحضار مقام ضعف العبودية وما يرتبط بها من عجز وفقر وذلة، والعابد في هذه الحال يكبّر الحق تعالى عن التوصيف بمقدار معرفته بعزّ الربوبية وذلّ العبودية.

وعلى العبد السالك أن يجعل من وصفه للحق تعالى وتسبيحه وتقديسه له، مجرد إطاعة للأمر، وأنه يقوم بالوصف والعبادة، بإذن الحق تعالى، وإلا فما كان ليتجرأ. وهو في الحقيقة ـ العبد الضعيف المعدوم الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً. ولعل في

التكبير إشارة إلى تعظيم الحق وتكبيره عن أشكال التوصيف التي أتى بها في منزل القيام.

ولما كان الركوع هو منزل توحيد الصفات ـ عند أهل المعرفة ـ فتكبير الركوع عندهم هو تكبير للحق عن هذا التوحيد، ورفع اليد إشارة إلى رفض صفات الخلق[146].

آداب الركوع

إعلم أن أحوال الصلاة الرئيسية ثلاثة وسائر الأعمال والأفعال هي مقدمات ومهيئات لها، فأحوال الصلاة هي:

أولاً: القيام

ثانياً: الركوع

ثالثاً: السجود

وأهل المعرفة يعتبرون هذه الأحوال الثلاثة، إشارات إلى التوحيدات الثلاثة.

لما كانت الصلاة هي المعراج الكمالي للمؤمن وقربان أهل التقوى، فهي متقدمة بأمرين أحدهما مقدمة للآخر.

الأول: ترك رؤية النفس وحبها، وفي ذلك حقيقة التقوى وباطنها.

الثاني: حب الله وطلبه، وهو حقيقة المعراج والقرب، ولهذا ورد في الأحاديث الشريفة أن «**الصلاة قربان كل تقي**»[147].

كذلك فإن القرآن الكريم هو نور الهداية ولكن «للمتقين».

يقول تعالى: **﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾**(148) وإجمالاً فهذان الأمران يحصلان في المقامات الثلاثة، القيام، الركوع، والسجود، على نحو التدريج.

فيكون في القيام ترك لرؤية النفس بحسب مقام الفاعلية، ورؤية فاعلية الحق وقيوميته المطلقة.

وفي الركوع ترك لرؤية النفس بحسب مقام الصفات والأسماء، ورؤية مقام أسماء الحق وصفاته.

وفي السجود ترك لرؤية النفس مطلقاً، وحب الله وطلبه مطلقاً. ومنازل السالكين جميعاً، هي من شؤون هذه المقامات الثلاثة كما هو واضح لأهل البصيرة وأصحاب العرفان والسلوك.

وعليه فإن على السالك في مقام الركوع - ولما كان ما يدعيه هو أن ما من علم ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة في دار الوجود إلا وهي من الحق تعالى، ولما كان هذا الإدعاء خطيراً للغاية وتعبيراً عن مقام دقيق جداً، لا يناسب صدوره من أمثالنا لحضرة الذات المقدسة - التوجه إلى حضرة الحق وسؤاله بتضرع ومسكنة وتذلل، وطلب العفو عن القصور والتقصير، وإدراك النقص بعين العيان وشهود الوجدان عسى أن تشمله التفاتة وعناية من الحق تعالى، فيصبح الإضطرار سبباً لمعونة الذات المقدسة له:

﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾(149).

ذكر الله في حال الركوع

ولتعلم يا عزيزي، أن الركوع مشتمل على: التسبيح، التعظيم، والتحميد للرب جلّ وعلا. فالتسبيح تنزيه عن التوصيف وتقديس عن التعريف. والتعظيم والتحميد، خروج عن حدّ التشبيه والتعطيل؛ لأن التحميد يفيد الظهور الإلهي في المرايا الخلقية، والتعظيم يظهر سلب التحديد، فهو إذاً ظاهر وما من ظهور في العالم أظهر منه، وهو غير متلبس بلباس التعينات الخلقية[150].

سرّ وضع الرأس على التراب

السجود عند أصحاب العرفان وأرباب القلوب: ترك النفس وغمض العين عن كل ما سوى الحق تعالى والتحقق بالمعراج اليونسي - الذي حصل بالدخول في بطن الحوت - وذلك من خلال توجه العبد إلى أصله دون رؤية الحجاب.

وفي وضع الجبهة على التراب إشارة إلى رؤية جمال الجميل في باطن قلب التراب وأصل عالم الطبيعة.

وتتمثل آدابه القلبية في معرفة العبد حقيقته وأصل وجوده، ووضع «أم الدماغ» وهو مركز سلطان النفس وعرش الروح - على أدنى عتبة من مقام القدس ورؤية التراب في عتبة مالك الملوك. إذن فسرّ الوضع السجودي هو تطهير العين من رؤية النفس. وأدب وضع الجبهة على التراب هو إسقاط العبد لأعلى مقامات

نفسه من أن تراها عينه وعدّها أوضع من التراب مرتبة.

ولما كان الخطر في هذا المقام أشد الأخطار، وجب على السالك إلى الله التمسك - إستناداً إلى جبلته وفطرته القلبية - بأذيال الطاف الحق جلّ وعلا وسؤاله العفو عن التقصيرات بتذلل ومسكنة[151].

آداب السجود

قال الصادق (ع) في مصباح الشريعة: «**ما خسر والله، من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة، وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال تشبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عما أعدّه الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل. ولا بعُد عن الله أبداً من أحسن تقربه في السجود، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده.**

فاسجد سجود متواضع لله تعالى، ذليل علم أنه خلق من تراب يطؤه الخلق وأنه اتُخِذ من نطفة يستقذرها كل أحد، وكُوِّن ولم يكن.

وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قرُب منه بعُدَ عن غيره.

الا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والإحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أمر

الباطن. فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال الله عز وجل:

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[152]

وقال رسول الله (ص): «قال الله تعالى: لا أطلع على قلب عبد فأعلم حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته، ومن إشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوبٌ اسمه في ديوان الخاسرين»[153].

لطائف الركوع والسجود

قال الصادق (ع) في مصباح الشريعة: «لا يركع عبد لله ركوعاً على الحقيقة إلا زينه الله تعالى بنور بهائه، وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة اصفيائه. والركوع أولٌ والسجود ثانٍ؛ فمن اتى بمعنى الأول، صلح الثاني.

وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب، لا يصلح للقرب.

فاركع ركوع خاضع لله بقلبه، متذلل وجِل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين...

واستوف ركوعك باستواء ظهرك. وانحطّ عن همتك في القيام

بخدمته إلا بعونه.

وفرَ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكايده، فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له؛ ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع بقدر إطلاع عظمته على سرائرهم»(154).

كما يتضح أن القرب المطلق الذي يحصل في السجود، لا يتسير إلا بحصول «الركوع على الحقيقة».

فمن يريد الحصول على الأهلية «للثاني» عليه أن يحصل أولاً على «القرب الركوعي» وأدبه(155).

أسرار الذكر في السجود

إن السجدة هي غشوة وصعق تحصل نتيجة لمشاهدة أنوار عظمة الحق، فإذا ذهل العبد عن نفسه وحصلت له حالة المحو والصعق، شملته حينئذ العناية الأزلية وصار ملهما بالإلهام الغيبي.

والذكر في السجود وتكراره من أجل حصول حالة الصحو ورجوع نفس العبد إليه.

فإذا رجعت إليه إشتعلت في قلبه نار الإشتياق إلى مشاهدة نور الحق، فيرفع رأسه من السجدة.

فإذا رأى في نفسه بقايا من الأنانية يشير بيده إلى رفضها، وعندها يتجلى نورُ العظمة ثانية له فيحرق تلك البقية من الأنانية

فيفنى في الفناء ويكبّر.

فتحصل له حالة المحو الكلي المطلق والصعق الحقيقي التام. ثم تمتد إليه يد المعونة الغيبية من خلال إلهام الأذكار فتمكنه من هذا المقام، فتحصل له حالة الصحو في هذا المقام، وهو صحو مقام الولاية المنزه عن أي إحتجاب وشائبة خلقية. وهذا الصحو بعد المحو يحصل في حال التشهد والسلام. التي تعد من أحكام الكثرة أيضاً. وعندئذ تستكمل وتتم دائرة السير الإنساني(156).



آداب التشهد والسلام



التشهد

قال الصادق (ع) في مصباح الشريعة: «**التشهد ثناء على الله تعالى، فكن عبداً له في السر خاضعاً له في الفعل، كما انك عبد له بالقول والدعوى. وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنه خلقك عبداً، وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته لك، وتعلم أن نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا حظ إلا بقدرته ومشيئته، وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلا بإذنه وإرادته.**

قال تعالى:

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾(157).

فكن عبداً شاكراً بالفعل، كما أنك عبد ذاكر بالقول والدعوى. وصل صدق لسانك بصفاء سرك، فإنه خلقك فعزّ وجل أن تكون إرادة ومشيئة لأحد إلا بسابق إرادته ومشيئته، فاستعمل العبودية في الرضا بحكمه، والعبادة في أداء أوامره.

وقد أمرك بالصلاة على نبيه (حبيبه) فوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته.

وانظر أن لا تفوتك بركات معرفة حرمته، فتحرم عن فائدة صلاته وأمره بالإستغفار لك والشفاعة فيك، في حال أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب، مع علمك بجليل مرتبته عند الله عزّ وجل»[158].

في الحديث الشريف إشارات إلى آداب العبادات القلبية وحقائقها وأسرارها، كما في وصفه (عليه السلام) التشهد بأنه «ثناء على الله تعالى».

وقد تقدمت الإشارة إلى أن مطلق العبادات ثناء على الحق.

كذلك فهو يشير إلى أهم الآداب، فيخاطب العابد السالك ويقول: إن عليك أن تكون عابداً في السرّ كما هو الحال كونك عابداً في الظاهر، وفي إدعائك العبودية، ذلك لكي تسري حقيقة العبودية إلى جميع أجزاء الوجود سواءً الظاهرية منها أو الباطنية، فيحصل كل عضوٍ من الأعضاء على حظه من التوحيد ويوصل اللسان ذكره إلى القلب، ويفيض القلب الموحّد المخلص بالتوحيد والإخلاص على اللسان.

وعلى السالك أن يطلب الربوبية من حقيقة العبودية، ويخرج من العجب ويوصل إلى القلب ألوهية الحق، ويعلم أن نواصي الخلق بيد الحق تعالى، فليست لهم قدرة التنفس والرؤية إلا بقدرته ومشيئته تعالى، فهم عاجزون عن التصرف في مملكة الحق بأي نحو كان - حتى إذا كان غاية في البساطة - دون إذن الذات المقدسة وإرادتها:

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾.

فليس لأحد إختيار على نحو الإستقلال، والحق تعالى منزه عن وجود شريك له في التصرّف في مملكة الوجود. وإذا أوصلت هذه اللطيفة إلى قلبك أيها العابد السالك، أصبح شكرك للحق حقيقياً، وشمل عندها أعضاءك وأعمالك.

وكما أن اللسان والقلب يجب أن يكونا مترادفين في العبودية، كذلك ينبغي لك - إيها العابد السالك - أن تصل صدق لسانك، بصفاء سرّ قلبك في التوحيد الأفعالي أيضاً. لأن الحق جلّ وعلا هو الخالق ولا مؤثر سواه، وكل إرادة ومشيئة هي ظل إرادته ومشيئته الأزلية السابقة.

ثم وبعد التحلي بآداب الشهادة بوحدانية الحق وألوهيته، على العابد السالك أن يتوجه إلى المقام المقدس للعبد المطلق والرسول الخاتم (ص) فيتنبه من خلال مقام «العبودية» على مقام «الرسالة» إلى أن العبودية هي مقدمة لجميع مقامات السالكين،

وأن الرسالة فرع العبودية.

ولما كان الرسول الخاتم (ص) عبداً حقيقياً فانياً في الحق، فطاعته طاعة الحق.

والشهادة بالرسالة موصولة بالشهادة بالوحدانية. وعلى العبد السالك أن يراقب نفسه، لكي لا يقصّر في طاعة الرسول (ص) وهي طاعة الله، ولئلا يحرم من بركات العبادة المتمثلة في الوصول إلى حضرة القدس بمعونة الولي المطلق، وأن يعلم أنه لا يؤذن لأحد بالدخول إلى حضرة القدس ومحفل الأنس إلا بمعونة ولي النعم الرسول الأكرم(ص)[159].

السلام

في مصباح الشريعة، قال الصادق (ع): «**معنى السلام، في دبر كل صلاة الأمان؛ أي من أدى أمر الله وسُنة نبيه (ص) خاشعاً منه قبله، فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة.**

فالسلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم.

وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتّق الله، وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنّسها بظلمة المعاصي، ولتسلم حفظتك أن لا تبرمهم (أي تضجرهم)، ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثم صديقك ثم عدوك،

فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه، فلا سلام ولا تسليم؛ وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق»(160).

الحديث يعرِّف السلام في آخر الصلاة بأنه الأمان. بمعنى أن من يؤدي الأوامر الإلهية والسنن النبوية بخشوع قلبي فهو أمنٌ من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، أي أنه آمن من التصرفات الشيطانية في الدنيا لأن أداء الأوامر الإلهية بخشوع قلبي يؤدي إلى قطع تسلّط الشيطان:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾(161)

ثم أن الحديث يشير إلى سرٍّ من أسرار السلام فيقول:

السلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه.

وهذه إشارة إلى مظهرية الموجودات للأسماء الإلهية، وعلى العبد السالك أن يظهر هذه اللطيفة الإلهية التي أودعت باطن ذاته وأخفيت في طينته، ويستعملها في جميع المعاملات والمعاشرات، والأمانات والعلاقات، ويجعلها سارية في مملكة باطنه وظاهره، ويلجأ إليها في المعاملات مع الحق ودين الحق تعالى، لكي لا يكون خائناً لهذه الوديعة الإلهية، ثم ينقل حقيقة السلام إلى جميع قواه الملكية والملكوتية وإلى جميع عاداته وعقائده وأخلاقه وأعماله لكي يسلم هو نفسه من جميع التصرفات.

وقد أشار الحديث إلى أن الطريق لتحصيل هذه السلامة هو

التقوى.

وتجدر الإشارة إلى أن للتقوى مراتب ومنازل:

- فتقوى الظاهر هي حفظ الظاهر من قذارات المعاصي القلبية وظلمتها، وهي تقوى العامة.

- وتقوى الباطن هي حفظ الباطن وتطهيره من الإفراط والتفريط وتجاوز حدّ الإعتدال في الأخلاق والغرائز الروحية، وهذه تقوى الخاصة.

- وتقوى العقل هي حفظه وتطهيره من أن يستهلك في العلوم غير الإلهية. ومرادنا من العلوم الإلهية العلوم المرتبطة بالشرائع والأديان الإلهية. وجميع العلوم الطبيعية إذا كانت من أجل معرفة مظاهر الحق فهي إلهية، أما إذا لم تكن كذلك فهي ليست إلهية وإن كانت مباحث في المبدأ والمعاد. وهذه تقوى أخص الخواص.

- وأما تقوى القلب فهي حفظه من مشاهدة ومذاكرة غير الحق، وهي تقوى الأولياء، حيث حصول الخلوة القلبية.

والحديث القدسي الشريف: «**انا جليس من جالسني**»[162] إشارة إلى هذه الخلوة القلبية التي تعد أفضل الخلوات، وسائر الخلوات مقدمة لحصولها.

فمن اتصف بكافة مراتب التقوى، سلم دينه وعقله وروحه وقلبه وجميع قواه الظاهرة والباطنة، وسلم منه حفظته والموكلون به، فلا يملّونه ولا يضجرون ولا يستوحشون منه، وستجري معاملاته ومعاشراته مع الصديق والعدو على نحو السلامة، بل إن

جذور العداوة ستتقلع من قلبه تماماً حتى لو عاداه الناس[163].

أما من لا تتحقق فيه جميع مراتب السلامة، فسيحرم من فيض السلام وسيكون إلى أفق النفاق أقرب بمقدار حرمانه من السلامة، ونعوذ الله!!!

هوامش

صلاة العارف

(1) الآداب المعنوية للصلاة: الإمام الخميني، ص 17.

(2) التوبة آية: ٧٣.

(3) صحيفة النور ج 12، ص 148.

(4) وصايا عرفانية: الإمام الخميني، مركز بقية الله الأعظم، ص 15.

(5) سورة يوسف. آية: 87.

(6) الآداب المعنوية: ص 185.

(7) سورة البقرة. آية: 282.

(8) الطلب والإرادة: الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر الإمام الخميني، ص 87.

(9) صحيفة النور: ج 12، ص 148.

(10) الأربعون حديثاً: الإمام الخميني، دار التعارف، ص 447.

(11) الأربعون حديثاً: ص 383.

(12) وسائل الشيعة: ج12، الباب 5، من أبواب مقدمات التجارة، ح7.

(13) الأربعون حديثاً: ص 496.

(14) اصول الكافي: ج 2. كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام، ح5.

(15) وسائل الشيعة: الباب 69، من أبواب مقدمة العبادات، ح 5.

(16) الأربعون حديثاً: ص 512.

(17) أصول الكافي: ج 2. كتاب الإيمان والكفر. باب الورع ح11.

(18) أصول الكافي: ج 2. كتاب الإيمان والكفر. باب الورع ح 3.

(19) الأربعون حديثاً: ص 426.

(20) الآداب المعنوية للصلاة:

الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر الإمام الخميني، ص 45.
(21) علم اليقين: ج 2 ـ ص 1061 (باختلاف يسير)
(22) الآداب المعنوية: ص 56.
(23) الأربعون حديثاً: ص 124.
(24) نهاية إبن الأثير، المجلد 1 ص 440.
(25) الأربعون حديثاً: ص 124.
(26) إعتقادات المجلسي، ص 29، عن رسول الله «ص».
(27) وسائل الشيعة: ج1، ص45، أبواب مقدمة العبادات، باب 9، ح1.
(28) بحار الأنوار: ج 74 . ص 74.
(29) بحار الأنوار: ج81، ص 249.
(30) وسائل الشيعة: ج1 . ص 43.
(31) فلاح السائل، ص 23.
(32) أسرار الصلاة: الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ص 49.
(33) الآداب المعنوية: ص 229.
(34) أصول الكافي: ج 2 . كتاب الإيمان والكفر . باب حسن الظن بالله، ح 1.
(35) الأربعون حديثاً: ص 217.
(36) الأربعون حديثاً: ص 125.
(37و38) فروع الكافي ـ ج 3 - ص 269.
(39) الأربعون حديثاً: ص 387.
(40) سورة الحديد: الآية 16.
(41) سورة الأنعام: 79.
(42) سورة العصر: 1 - 2.
(43) شرح جنود العقل والجهل: الإمام الخميني ـ مؤسسة الأعلمي، ص 348.
(44) مصباح الشريعة: في حقيقة العبودية ـ باب 155.
(45) نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة 103.
(46) الإسراء: 1.
(47) الآداب المعنوية: ص 23.
(48) الأداب المعنوية: ص 31.

(49) المُلك: عالم الطبيعة (الدنيا)

(50) مصباح الشريعة: الباب الخامس (في الذكر).

(51) الآداب المعنوية: ص 36.

(52) أصول الكافي ـ ج 2 ـ باب الإقتصاد في العبادة ـ ح 2.

(53) نفس المصدر السابق ـ ح 6.

(54) الأداب المعنوية: ص 45.

(55) أصول الكافي ـ كتاب فضل القرآن ـ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ـ ح 1.

(56) الآداب المعنوية: ص 51.

(57) أسرار الصلاة: الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام، ص 63.

(58) فروع الكافي: ج 3 ـ ص 363.

(59 ـ 60) وسائل الشيعة، ج 4، الباب الثالث من أبواب أفعال الصلاة، ح 6 و 4.

(61 ـ 62) وسائل الشيعة، ج 4، الباب الثاني والثالث من أبواب أفعال الصلاة، ح 7 و ح5.

(63) الأربعون حديثاً: ص 390.

(64) الأربعون حديثاً: ص 392.

(65) أسرار الصلاة: ص 65.

(66) الأربعون حديثاً: ص 394.

(67) الأربعون حديثاً: ص 396.

(68) سورة الماعون: 4-5.

(69) سورة المؤمنون: 1-2.

(70) بحار الأنوار: ج81 ص 260.

(71) أسرار الصلاة: ص 75.

(72) الآداب المعنوية: ص 68.

(73) أصول الكافي ـ كتاب الإيمان ـ باب حب الدنيا والحرص عليها ـ ح 1.

(74) آل عمران: 92.

(75) طه: 10.

(76) الآداب المعنوية: ص 71.

(77) الآداب المعنوية: ص 235.

(78) الزمر: 3.

(79) البينة: 5.

(80) الآداب المعنوية: ص 241.

(81) الأربعون حديثاً: ص 302.

(82) الأربعون حديثاً: ص 307.

(83) أصول الكافي: ج 2، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص، ح 5.
(84) الأربعون حديثاً: ص 303.
(85) الأربعون حديثاً: ص 79.
(86) النساء: الآية، 100.
(87) الأربعون حديثاً: ص 307.
(88) الآداب المعنوية: ص 87.
(89) القوى الظاهرية: أي القوى الحسية.
(90) الملكات: الصفات.
(91) الآداب المعنوية: ص 88.
(92) مصباح الشريعة: الباب العاشر.
(93) مصباح الشريعة: الباب الستون (في الطهارة).
(94) الأداب المعنوية: ص97.
(95) الأداب المعنوية: ص 104.
(96) عيون أخبار الرضا: ج 2، ص 104.
(97) جامع الأخبار: ص 117.
(98) الأداب المعنوية: ص 107.
(99) الأداب المعنوية: ص 131.
(100) الجواهر السنية: باب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع). ح 66.
(101) الملكي: المادي. الدنيوي.
(102) الآداب المعنوية: ص 135.
(103) الأعراف: 26.
(104) مصباح الشريعة: الباب السابع في اللباس.
(105) إشارة إلى قول الله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا...) الأعراف 172.
(106) الآداب المعنوية: ص 162.
(107) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة. أبواب أفعال الصلاة. الباب الثاني. ح 17.
(108) المصدر السابق. ح 14.
(109) فلاح السائل: في أحوال الإمام الحسين بن علي (ع).

(110) بحـــــار الأنوار: ج 77، ص 2346.

(111) الآداب المعنوية: 165.

(112) الآداب المعنوية: ص 173.

(113) دار التحقق: الوجود.

(114) علم اليقين: ج 1، ص 106.

(115) سورة الأنعام: آية، 79.

(116) سورة الأنعام: آية، 76.

(117) مضمون بيت شعر للشاعر الإيراني حافظ الشيرازي.

(118) الآداب المعنوية: 173.

(119) يونس: 30.

(120) الآداب المعنوية: ص 177.

(121) الآداب المعنوية: ص 183.

(122) الشورى: 23.

(123) الآداب المعنوية: ص 185.

(124) بحار الأنوار: ج 81، ص 131.

(125) الآداب المعنوية: ص 189.

(126) وسائل الشيعة: ج 4. الباب 9 من أبواب تكبيرة الإحرام. ح. 13.

(127) نفس المصدر السابق: ح 11.

(128) سورة الأنعام: 79.

(129) وسائل الشيعة: ج 4، الباب 7 من أبواب تكبيرة الإحرام، ح 5.

(130) نفس المصدر السابق: ح7

(131) الأربعون حديثاً: ص 455.

(132) الآداب المعنوية: ص 223 و221.

(133) أمالي الصدوق: ص 105.

(134) الآداب المعنوية: ص 311.

(135) البقرة: 40.

(136) البقرة: 152.

(137) أصول الكافي: كتاب الدعاء. باب ما يجب من ذكر الله. ح 4.

(138) المصدر السابق: باب ذكر الله عز وجل. ح 3.

(139) الآداب المعنوية: ص 313.

(140) مقطع من دعاء الإمام السجاد (ع).

(141) الآداب المعنوية: ص 318.

(142) النحل: 98 - 100.
(143) الآداب المعنوية: ص 321.
(144) التوبة: 11.
(145) الآداب المعنوية: 527.
(146) الآداب المعنوية: ص 487.
(147) فروع الكافي: كتاب الصلاة ـ باب فضل الصلاة، ج 6.
(148) البقرة: 2.
(149) الآداب المعنوية: ص 489.
(150) الآداب المعنوية: ص 492.
(151) الآداب المعنوية: ص 499.
(152) الأحزاب: 4.
(153) مصباح الشريعة: الباب السادس عشر في السجود.
(154) مصباح الشريعة: ص 12.
(155) الآداب المعنوية: ص 493.
(156) الآداب المعنوية: ص 507.
(157) القصص: 68.
(158) مصباح الشريعة: الباب التاسع عشر في التشهد.
(159) الآداب المعنوية: ص 513.
(160) مصباح الشريعة: الباب الثامن عشر في السلام.
(161) سورة العنكبوت: آية، 45.
(162) المواهب السنية: ص 77.
(163) الآداب المعنوية: ص 521.